روايات عبير

٤٥٠

شاطئ الغرام

www.elromancia.com

مرمورية

روايات عبير

No: 450

قوى الخير وقوى الشر . يدور بينهما صراع أزلي، أبدي .

وغالبا ما ينتصر الخير ولكن بعد عناء .

أراد "جاك" أن يبرهن على ذلك عملياً . وجاء إلى "جول كوف" التي هجرها منذ زمن بعيد . ليكشف عن حقيقة من أرادوا السوء بشركة جده .

www.elmaktabeh.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر

CanadA	5$
U.K	1.5
France	15F.F
Greece	1200Drs.
CYPRUS	1.5 P.

شخصيات الرواية

"ماريا سانتوس": سيدة شابة جادة متخصصة في علم الأحياء البحرية ، تمتلك مركباً. أسند إليها إدارة أسطول من المراكب يقوم برحلات لمشاهدة الحيتان.

"چاك مارلو" : رجل شاب ، له نصيب في الأسطول الذي يمتلكه جده . إلا انه ترك العمل في البحر من وقت طويل إثر مشاجرة مع جده.

"وايت مارلو" : جد "چاك" وصاحب أسطول "مارلو" .

"ميجيل" : أحد البحارة وابن عم "ماريا" .

الغلاف الأمامي

تعشق "ماريا" حياة البحر والحيتان . وكانت الوظيفة التي أسندها إليها "وايت مارلو" فرصة عظيمة لها لتعيش الحياة التي تهواها بين هدير البحر وأغنيات الحيتان . ولكن هل ستدوم لها حياتها الهادئة التي اختارتها لنفسها ؟ لا ، لم يحدث ذلك ، لقد قفز إلى حياتها قرصان سلب قلبها وقلب حياتها .

هل ستنسج الأقدار قصة حب عذبة تنتهي نهاية سعيدة؟

أم سيمتزج بها العذاب والشجن ؟ هذا ما سنعرفه من أحداث الرواية.

www.elromancia.com

الفصل الأول

دخلت "ماريا سانتوس" ميناء "جول كوف". عندئذ اوقفت محركات الديزل وخفضت السرعة إلى أربع عقدات . لقد واجهت في القناة رياحاً غير تقليدية :هبت بعرض المجرى بينما واجهت- في نفسها - شعورا طفيفا بالغيظ . لقد الزمت بالدخول إلى الميناء في هذا اليوم الصحو لتراقب الحيتان. خلفها يمتد "ستلواجون نورد" أغنى المراعي البحرية في المحيط الشمالي ، حيث تاتي لتقتات الأسماك والطيور البحرية والحيتان .. وأمامها عند الشاطئ تنتظرها العوامة "مارلو" المسؤولةعن إفساد هذا النهار.

لم تقابل "ماريا" أبدا "جاك مارلو"، لكنها تعرفت عليه من أول وهلة: إنه عريض المنكبين كجده ، أشقر ، عيناه زرقاوان حادتان مثل عيني قرصان "يانكي" ويتميز بقدر يكفي من الغطرسةليكبل عوامة باكملها . كان يتحدث في تليفون محمول بينما يتابعها ببصره لكن عندما توقفت

"سبيريتوس" امامه، طوى الجهاز ووضعه في جيب سترته.

وقف ويداه في وسطه ، ينظر إليها، كان رداؤه الكحلي مفصلا بحنكة، وسترته مفتوحة على قميص ابيض، لم ينظر إلى ساعته ولكن استطاعت "ماريا" أن تتخيل ما يفكر فيه . لقد جاء ليختبر قدرات السيدة الشابة التي تاخرت خمس دقائق ونصفا.

- الآنسة "سانتوس"؟

كان صوته بارداً ، اجش ، متغطرساً أكثر مما اعتادته.

جاهدت السيدة الشابة حتى لا تتاثر به . أن تكون قائدة عوامة مؤسسة "وايت مارلو" لمراقبة الحيتان كان له بالتاكيد كثير من الامتيازات لكن لم يكن من بينها الاحتكاك بهذا الشاب الوارث.

اجابت:

- نعم ، انا "ماريا سانتوس". اسفة على التاخير . لكن كان هناك حوالي عشرين حوتاً في "ستلواجون" ولم استطع إدارة المحركات دون المخاطرة بجرحها.

قطب حاجبيه:

- لم تستطيعي العودة، لأنك كنت محاطة بالحيتان؟

بماذا تجيبه ؟ هذا تماماً ما حدث ، لكن كيف تشرح لهذا الرجل المتهكم المائل أمامها ؟

عبر الهاتف ، استطاعت أن تحدثه بوضوح وثقة . لكن الآن ، في مواجهته ، فقدت كل وسائلها .

شدت الحبل بقوة وبحثت بعينيها عن بحار صغير يساعدها في سحب المركب الكبير نحو الرصيف دون جدوى .

انفلتت من بين شفتيها كلمات تعبر عن الغضب بالبرتغالية .

قال "جاك":

- إني أوافقك تماما.

توردت وجنتاها خجلاً. إن حاسة سمع هذا الرجل أدق من المجسات! قالت:

- لم تبعد الحيتان عن مركبي أكثر من عشرة أمتار يا سيد "مارلو". والميثاق الخاص بحماية الثدييات البحرية يشترط بوضوح أن ..

قاطعها بحركة من يده، وقال ساخرا:

- يبدو أن الثدييات البحرية هي التي ليست في حاجة إلى حماية.

شدت "ماريا" الحبل حول ممسك الحبال وجاهدت نفسها حتى لا تنفجر غيظاً. لم تكن ذات مزاج عصبي، لكن هذا الموقف لم تعتد مثله. كانت متأخرة، ترتدي، "بلوفر" قديما و"جينزا" كالح اللون لموعد كانت تود أن يكون مهنياً خالصاً. وإذا لم يأت أحد رجال طاقم البحارة على الفور على الرصيف فستكون مجبرة على إرساء السفينة بمفردها، يا له من عمل جديد!

كما لو كان قد قرأ ما يدور في ذهنها، مسح الخمسة عشر مترا- طول هيكل المركب "سبيريتوس" - بعينيه ثم نظر إليها في دهشة.

سألها غير مصدق:

- هل خرجت بمفردك؟

- نعم "سبيريتوس" مركبي. منذ أعوام وأنا أبحر به بمفردي.

رمقها بنظرة فاحصة وتوقفت عيناه لحظة عند جذعها.

احمر خدا "ماريا" ليس فقط للتفكير في أنه ينظر إلى معالم أنوثتها لكن أيضا لرأيه التافه عن قدرتها البحرية، لقد التحقت بالعمل منذ سنتين عندما تقاعد "وايت" العجوز إثر إصابته بأزمة قلبية ولقد وقع عليها الاختيار لخبرتها. كانت تعرف كيف تقود مركباً وتركب البحر كالثعلب العجوز. أن يعتقدها أحد أنها غير كفاة، يجعلها هذا

تستشيط غضباً!

أكدت له بصوت حاد:

- لا تقلق بشأن المراكب "مارلو". إنها لا تخرج بدون طاقم كامل.

- لقد أحسنت صنعاً بتوضيحك ذلك.

قال الرصيف خاوياً. كان عليها دون شك أن تلزم أحد البحارة الصغار بانتظارها حتى يساعدها في شد "سبيريتوس" إلى الشاطئ عند عودتها لكن كان سيترتب على ذلك إضاعة فترة بعد الظهر بينما لا يحتمل العمل ذلك.

داعب الريح طرف سترة "جاك مارلو"، نفس الريح الذي كاد أن يقلب المركب في عرض البحر، لو لم تأخذ قرارها على الفور.

صاحت وهي تقذف إليه حبل السفينة الضخم.

- خذ. التقط.

رجع إلى الوراء. دهشا وكاد أن يفقد توازنه.

أصاب الحبل المبلول قميصه ببقع من الطين وأفسد بنطلونه المكوي.

برزت عضلات فكيه، لكن عكس كل التوقعات، لم ينبس بكلمة. فزعت "ماريا" لحظة. كادت نظرته التي رمقها بها أن تثقب هيكل المركب. وعلى الرغم من ذلك أمسك الحبل وشده بكل قوته وربطه في الرصيف بحركة ثابتة.

ندمت "ماريا" على تصرفها. إن "جاك مارلو" لا يمتلك فقط أكثر من ثلث المراكب "مارلو"، لكن بالإضافة إلى ذلك فهو يمتلك شركة التأمين البحرية التي كتبت "ماريا" لديها كل عقودها. من الممكن فصلها عن العمل لمخاطرتها بإغراق شريك رئيسها.

بحثت عن كلمات للاعتذار لكن عندما رأته منحنيا، يربط العقدة الثانية من الحبل قفزت إلى الرصيف في رشاقة بالغة.

www.elromancia.com

انتصب ومسح يديه في بنطلونه ، ثم وقف امامها وقد عقد يديه فوق صدره.

كان وجهه حاد الملامح ونقنه مربعاً وانفه يبدو مكسوراً عدة مرات. حملق إليها في غطرسة . فهمت من نظرته الحادة المتهكمة المنبعثة من عينيه الزرقاوين انه غير مجد أن تثقل نفسها بالاعتذارات . لن يصدق - بالتاكيد - انها نادمة على تصرفها هذاتعبير وجهه وعلى الرغم من ذلك استشفت بريق مكر يكشف عن سخرية لم تكن لتتوقعها .

لقد حيرها التغير كما حيرتها غطرسته ، إلا انه من الواضح انها بدات تجده جذاباً.

وللحق ، هو جذاب جداً ! إنها تجاهد حتى تحول بصرها عنه. لكنه ليس سانجا لقد فهمت من تعبيره انه على دراية كاملة بالتيار العاطفي الذي سرى بينهما . ومع ذلك ، لم يكن الوقت مناسباً لاي اندفاع غير مهني.

استعادت افكارها ورجعت للخلف خطوة واضعة يديها في الجيبين الخلفيين للبنطلون الچينز ، رفعت ذقنها في تحد .

- سيد "مارلو" ، إنه انت من حدد هذا الموعد. هانا ذا .

- وهانا ايضاً! لكني لم اصر على ان يتم هذا اللقاء وسط تيارات الهواء . ربما يمكننا النزول إلى المكتب واحتساء قدح من القهوة .

- حسنا .

استدارت على عقبيها وتوجهت نحو الحجرة التي يستخدمونها مكتبا وفي نفس الوقت شباكا لحجز التذاكر .

تبعها "چاك" وعيناه مثبتتان على قوامها الممشوق مفكرا في اسلوبها العنيف الذي كاد أن يسقطه في الماء .

يا إلهي! هذا الجسد الانثوي المختفي تحت مظهر بحار يشحذ خياله

بشكل يرفض تقبله.

إن شعرها الاسود الداكن يتناقض مع بشرتها الرقيقة ناصعة البياض؛ وعيناها الفاتحتان تظهران براءة وحكمة كبيرتين ، لكن كان هناك شيء آخر بها . شيء نسيه أو بعد عن حياته في العشر السنوات الأخيرة. الاسلوب المباشر ، النظرة الصريحة ، الرقة في طريقة نطق الحروف الساكنة ، مما يشير كمن يستطيع معرفة ذلك إلى انها من اصل برتغالي . لقد اعادته تلك السيدة إلى البحر.

لقد كان شعرها معقودا في جديلة طويلة تتحرك في كل خطوة من خطواتها . لقد فتن "چاك" بمشيتها المتمايلة.

وضعت يدها الرقيقة فوق عمود ونظرت إليه .

- هل تفضل الذهاب إلى المنزل ؟ مدام "ساليندت" ، عاملة النظافة تحرص دائماً على تقديم قهوة ساخنة.

اجابها :

- كلا .

دون ان تبدي تعليقاً، واصلت السير ، مارة امام المرفا حيث رست المراكب الأخرى التابعة لـ"ماريو" ، التي يبلغ طولها ثلاثين متراً ،بعد يوم عمل طويل في البحر.

جاءت مياه الميناء في موجات صغيرة تخبط ابواب ذاكرته. تصاعدت من المرفا رائحة الملح والطحالب . كما تذكر حبل السفينة الذي قذفت به إليه بشكل غير متوقع .. وعادت إليه ذكريات مؤلمة للفترة التي عمل فيها على ظهر نفس المركب.

في لحظة واحدة ايقظت "ماريا سانتوس" ماضياً في نفسه يفضل ان يظل خامداً إلى الأبد .

لقد اشعلت تلك السيدة ناراً كان في صالحه إطفاؤها على الفور. إن

انجذابه إليها يشبه انجذاب البحارة عديمي الخبرة إلى المياه الخطرة، لكنه ليس بحاراً غشيماً كما انه ليست لديه النية في الغرق . لقد جاء من أجل العمل . ومن أجل أن يتاكد ان هذه الشركة التي تساوي مليوني دولار ، ستستمر في تحقيق العائد الذي كانت تحققه مع "وايت" الكبير.

رمقته مديرة أعمال جده الجديدة بنظرة جديدة ، ثم كانها تقرأ افكاره سالته :

- هل جئت بخصوص التقرير الأخير عن الأعطال الذي قدمته لمكتبك الشهر الماضي يا سيد "مارلو"؟

- نعم في الحقيقة...

- أعتقد أن الأوراق كانت منظمة بشكل كاف.

- هذا صحيح . تماما مثل الثلاث الخسائر الأخرى . بذلك يصبحن أربع خسائرمنذ شهرين وهو تاريخ توليك إدارة مجموعة المراكب .

- لا طائل من تذكيري بذلك . لقد كتبت الأوراق بنفسي .

- إذن كان عليك أن تشكي في أن شركة التامين ستتساءل عن ذلك.

أدركت أخيراً مقصده ، فتوردت وجنتاها.

- لقد أجبت على كل اسئلتكم في التليفون يا سيد "مارلو" لا أعتقد أن ذلك سيحتاج إلى تحقيق رسمي !

كما لو أن الشركة تعلن مقدماً لعملائها عن أنها ستتدخل في أعمالهم.

لكن فضل "جاك" الا يزيد الوضع سوءاً.

- هذا ليس تحقيقاً رسمياً.

- في هذه الحالة ، ماذا أستطيع أن أقدم لك يا سيد "مارلو"؟

- تزودينني بالمعلومات .

- عن ماذا ؟

- عن مجموعة المراكب التي تديرينها وموظفيها .

سادت برهة من الصمت .

اجابت اخيراً:

- سيد "مارلو" . اعرف أن الحوادث قد تنجم عن سوء صيانة المعدات أو التعجل بعض الشيء في الإجراءات أمام تامين هامش ربح أكثر اهمية ، لكني أستطيع أن أؤكد لك أن هذه ليست الحال. كما أستطيع أن اطلعك على كل الأوراق الخاصة بصيانة الأسطول.

- حسناً . واريد ايضاً كل المعلومات المتاحة الخاصة بالعائد ، والمصروفات وفواتير الدفع، كذلك بيانات موظفيكم .

توقفت فجاة والتفتت نحوه . تلاقت نظرتها بنظرته.

- يجب أن تتحدث في ذلك مع جدك يا سيد "مارلو" . لا أستطيع أن افعل شيئا من اجلك .

- يا آنستي . كوني موضوعية . جدي تحت رعاية الأطباء الذين منعوه عن العمل مدة ثلاثة أشهر على الأقل .

رفعت "ماريا" كتفيها في تحد .

- إذن يجب عليك الانتظار .

- هذا مستحيل . إنه عمل واجب السرعة .

أدرك أن هذه السيدة لن تكتفي بهذا العذر التافه فاضاف:

- حتى لو استطعت الانتظار فسيكون من الصعب أن اتحدث مع جدي. انت لا تعلمين أن علاقتنا اقل ما توصف به انها متوترة.

- أهذا صحيح ؟

- أريد أن اتاكد انك لا تتولين الحسابات جميعها وخاصة تلك المتعلقة بالعمليات الأخيرة . ولا اطلب منك بحث كل هذه الأوراق بل تسليمي إياها .

أجابت وهي متجهة إلى المكتب:

- أوه ! أعرف جيداً ماذا تطلب مني .

- حسناً. ساحرص على أن تكافئي على جهودك .

أجابت بنبرة جافة وهي تخبط بقدمها:

- إنها ليست مسألة مكافأة يا سيد "مارلو" إنها مسألة إخلاص. أنا لا أستطيع فعل ذلك.

فتحت باب المكتب بعصبية وسبقته إلى الداخل .

صاح "وايت" من خلف مكتبه المكدس بالملفات:

- تباً! ماذا يحدث هنا؟

في البداية ، لم يتحرك أحد واستطاعت "ماريا" أن ترى عينيه الجادتين الزرقاوين تنظران في عداء. أغلقت الباب حتى لايحدث صوتاً.

سأل الرجل العجوز :

- ماذا إذن؟

- كيف حالك يا "وايت"؟

- ساكون بخير عندما تفسر لي ، ماذا أتيت تفعل هنا؟

- هذا يدهشني ، لكن يمكنني أن أحاول . لقد كنت أتحدث عن مسألة خاصة بالتامين.

سأل "وايت" "ماريا" وهو يركز بعينيه عليها .

- هل هذا صحيح؟

اعتلت وجهه مسحة غضب ، وهذا ما نهى عنه الأطباء بالتاكيد.

أجابت في هدوء:

- نعم .

- هل طلبت منه أن يحضر؟

- كلا .

- ماذا تفعل هنا إذن ؟ هل تعطل تليفونك؟

- كنت أعتقد أن بحضوري شخصياً ستترتب الأمور .

زمجر "وايت" في سخرية:

- لا ينقصنا إلا مساعدة رجل تركنا نهوي منذ عشر سنوات.

لم نعد بحاجة إليك الآن كما كنا نحتاج إليك في ذلك الوقت

- حتى لو كنت غارقاً في عمق البحر فلن تعترف بحاجتك إلى منقذ !

لاحظت "ماريا" أن توتر الرجل يتصاعد كحركة المد في الخريف.

نهض بعنف وصاح:

- لقد خضت أعماق البحر! و أنوي الرجوع إليه .

وضعت السيدة الشابة دفترها فوق المكتب ، ووقفت بين "وايت" وحفيده.

صاحت "ماريا" في لطف:

- لن تذهب إلى أي مكان يا "وايت" ما لم تخلد للراحة قليلاً الآن.

إنها لا تعارضه . لقد استطاعت أن تلاحظ أن "وايت" يظهر- غالباً - كثيراً من التعقل ما لم يكن هناك تحد له .

- ومن ناحية أخرى ، ماذا تفعل في المكتب ؟ لقد قال الأطباء ثلاثة أشهر يا "وايت".

عرفت أنه سيعقب ذلك العاصفة . عقدت ذراعيها فوق صدرها لتستمد بعض الشجاعة . لقد أصبح التوتر واضحاً وملموساً الآن.

- شهران بالفعل وأنا مستسلم لهذا الهراء..

لم ينته "وايت" من جملته ونظر إلى "ماريا" مقطب الحاجبين قبل أن يعاود الجلوس.

انفلتت تنهيدة من بين شفتي "ماريا" ، إن كل حواسها منتبهة وفي انتظار أسوأ الأمور من قبل هذين الرجلين ذوي العيون الزرقاء

المتشابهة.

قام الجد بحركة تنم عن نفاد صبره.

قال في سخرية:

- أظن انك قد تعرفت على حفيدي بالفعل .

أجابت وهي تفكر في انه كان من الأفضل بالتاكيد أن تبقى مع الحيتان الأكثر مسالمة.

واضافت في دبلوماسية:

- كما أكن له كل العرفان لاهتمامه بالحضور شخصياً .

قال الجد بصوت ساخر :

- لست أدري بماذا سيساعد ذلك الأسطول ؟

قال "چاك" :

- في البداية ؛ لأن ذلك سيسهل الإجر اءات.

- ولماذا تسهيلها ؟

- من أجل "ماريا" مثلاً.

لاحظت السيدة الشابة انه نطق اسمها الأول مما اسعدها .

بطلاقة ، وضع يديه في جيبي بنطلونه وفتح سترته فبرز قميصه الملطخ نتيجة ارتطام الحبل الذي قذفته "ماريا" به . لم يفت عيني الصقر "وايت" اي شيء.

استطرد "چاك":

- بناء على استنتاجي . فانت بحاجة إلى أيدي عاملة . لقد التحقت "ماريا" بالعمل كمديرة للاسطول لكنها تبحر بمركبها ايضاً - على الأقل - نصف الوقت . لديك مركب زائد لكن ليس هناك ما يكفي من الموظفين.

- العمل يسير بشكل جيد هكذا ! ينقصنا كابتن منذ عشر سنوات ، عندما تركتنا ولم يمنعك ذلك من الرحيل ، اليس كذلك؟

- لم يكن هناك شيء ليمنعني من الرحيل .

- ما الذي يجعلك تفكر إذن في انك تستطيع العودة هنا ، هل تريد أن تملي علي كيفية إدارة شركتي ؟

تدخلت السيدة الشابة قبل أن يسترسل في مهاجمة "چاك":

- "وايت" ، إنه انا مديرة هذا الأسطول . لقد لحقت بالعمل لاهتم بمثل هذا النوع من المشكلات وحتى لا تشغل بالك انت بها . كان "چاك مارلو" يتفحص كل حركة لها فانتابها شعور سيئ بانها موضوع دراسة عميقة. لن تدعه يتلاعب بها ،وإذا كان ينوي استخلاص معلومات لا يستطيع الوصول إليها بنفسه فهو لا يعرفها جيداً.

قالت بصوت صارم:

- حفيدك محق . لدينا نقص في العمالة . خلال أسبوعين ، سيكون العمل على قدم وساق ويجب أن تخرج كل المراكب إلى البحر؛ ستكون فرصة ملائمة لتعيين كابتن مؤقت .

اضافت هذه الجملة وعيناها غارقتان في زرقة عيني "چاك". انفلت من بين شفتي هذا الأخير تنهد خفيف.

- هل تقترحين علي هذه الوظيفة؟

زمجر "وايت":

- لا ينقص أسطول "مارلو" إلا رجل هجره منذ عشر سنوات .

- ليكن ! إنه لن يعمل من أجل الأسطول ساعينه لقيادة "سبيريتوس" مركبي . إنه صغير لكنه سريع ويحتاج إلى كابتن .

ثم ، التفتت إلى صاحب العمل واضافت:

- بذلك ساستطيع - إذا لزم الأمر- اخذ مكان احد قادة المراكب الكبار مع احتفاظي بالإدارة.

عض "وايت" شفتيه حتى لا ينفجر .

سال حفيده بتحد :

- هل تعتقد انك مازلت قادراً على قيادة مركب ؟

- اعتقد أن بإمكاني التصرف.

قالت "ماريا":

- حسنا . سنعيد التحدث في هذا الشان . لكن يجب ان اتصل اولاًبالمنزل لاخبرهم عن مكانك يا "وايت" . وإلا ستصاب السيدة "سالينت" بصدمة عصبية.

- لا جدوى من ذلك يا "ماريا" ساعود إلى المنزل .

نهض الرجل العجوز بمشقة وقبل أن يغادر المكتب ، التفت نحو حفيده:

- من الواضح انك لن تعمل من اجل اسطولي !

وجدت "ماريا" نفسها بمفردها مع "چاك" فشعرت باضطراب شديد.

- ساحضر بعض القهوة ، إذا كان الاسم هو ما يطلق على المشروب الذي يخرج من الآلة الميكانيكية . لكنك ستتعود . سترى ذلك.

الفصل الثاني

فيم تورط مرة اخرى ؟ اخذ هذا السؤال يدور في راس "چاك" عدة مرات وهو سائر في الممر المؤدي إلى كافتيريا "الزوار".

دفعت "ماريا" الباب ، بدون ان تنطق بكلمة ، توجهت نحو الجهاز الموزع للقهوة.

سالته :

- سكرا ؟ لبنا ؟

- اشربها بدون سكر.

امسكت كوبين ووضعت عملة نقدية في الآلة.

كانت كل حركة منها تنم عن انوثة ورقة.

لقد عاملته "ماريا" على انه خائن . منذ اللحظة التي شاهدها على ظهر المركب ، ومنذ ان وجهت إليه الحديث ، شعر انه قد وقع في الفخ . إنه لم يفكر ابداً في العودة للعمل في هذا الاسطول . إن هذه السيدة

www.elromancia.com

الشابة تظهر ولاء مثالياً لـ"وايت" . ولاء دفعه لاحترامها .

كان هناك العديد من الأشياء التي تدفعه للتفكير في "ماريا" وخاصة تاثيرها على مشاعره ..

كانت تشعره بانه على مقربة من مركب شراعي رائع ، اصيل وانيق . وليصل إليه ، يتطلب منه ذلك عناء احتساء بضعة اقداح!

قال في هدوء :

- قبلت وظيفة الكابتن .

لمع في عيني السيدة الشابة ومضة ساحرة ثم اختفت .

- ربما كان عليك تذوق هذه القهوة أولاً قبل أن تتخذ قرار قبول العمل بسرعة.

الشراب موضوع الحديث مذاقه محفور بالفعل في ذاكرته، إنه سائل حاد ومر المذاق.

- لقد تعودت على هذه القهوة .

- أعرف ذلك جيداً . لكني لست أفهم لماذا تشعر برغبتك في الخضوع لهذه المعاناة..

حملق إليها "چاك" برهة:

كانت عيناها وانفها تشبه تلك التي توجد في اللوحات التي يعجب بها زائرو متاحف "لشبونة" وبشرتها النضرة ينبعث منها سحر أخاذ ..

- انت محقة بدون شك؛ إذا كنت أريد معلومات عن الأسطول ، فالافضل هو أن أكون جزءا منه . كانت هذه هي رسالتك، اليس كذلك ؟

أومات برأسها مذعنة وشربت جرعة من القهوة في رقة كسيدات المجتمع الراقي .

- من المثير للدهشة أن يلحق جدي شخصا مثلك بالعمل .

- لماذا ؟ إن لدي خبرات ممتازة.

- اوه ، انا لا اشك في ذلك . انت حاصلة على درجة الاستاذية في علم الاحياء البحرية ، ليسانس في الإدارة، وخبرة ثلاث سنوات في الملاحة. انا لا اتحدث من حيث اهليتك للعمل .

- ومن تظن أن يلحقه جدك بالعمل ؟

- شخصا لديه سلطة كبيرة.

- آه!

لم تبد اي تعليق آخر .

سالها مرة أخرى :

- متى بدات الاهتمام بالحيتان؟

- لا اتذكر ذلك . لقد اهتممت بها دائما، كنت أخرج لملاحظة الحيتان مع جدك . في البداية هل كنت تعمل لديه أيضاً؟

- منذ عشر سنوات.

- قبل ذلك . كنت أحسدك على مكانك.

- أعتقد أنك كنت أصغر من ذلك .

- وانت ايضا .

دون أن تحول عينيها عنه وضعت قدحها فوق الطاولة المستطيلة خلفها .

- سيد"مارلو" ، اعرف ان لك مصالح مهمة في هذه الشركة وانك تود تقييم كفاءتي بنفسك . وبما انك عينت لقيادة "سبيريتوس" فسيكون وضعك جيدا تماما لإتمام ذلك .

- هل عينتني من أجل ذلك؟

- ولاني ايضا لااريد إغضاب "وايت".

- ها هو شيء مشترك بيننا . انا ايضا لا اريد إغضابه . كما لا أريد ان يحدث مكروه لاسطوله في فترة تقاعده الإجباري.

www.elromancia.com

كسا اللون الأحمر وجنتي السيدة الشابة.

- لن يحدث له مكروه.

هز "چاك" قدح القهوة . من الواضح أن "وايت" لم يخبر السيدة الشابة بكل شيء . إن "وايت" يقبل بصعوبة أن يرى نفسه معوقا بسبب ضعف حالته الصحية مؤقتا ، كما يرفض الإذعان بأن اسطوله يشرف على مواجهة صعوبات جسيمة وانه بحاجة إلى المساعدة . لو كان "وايت" قد تحدث إلى السيدة الشابة عن الحوادث لفكرت على الفور في الاستقالة . مالم تكن متورطة فيها . إنها لا تبدو مجرمة، لكن كيف له أن يعرف ؟

إنه لا يعرفها إلا منذ بضع دقائق والخطر قائم من أن يقيم حكماً متسرعاً .

- هل أبلغتم الشرطة عن تلك الحوادث المتتابعة؟

- لا .. لا يبدو ذلك مهماً . لايوجد بينها ما يتطلب طرفاً ثالثاً.

ابتسم "چاك" :

- أراهن على أن "وايت" لم يرد إحداث ضجة حول كل ذلك خاصة لدى السلطات .

صمتت برهة :

- لقد أمضى جدك حياته في قلق بشأن الأسطول ، وراحة عملائه وطاقمه .

- لقد أمضى جدي حياته في قلق بشأن الاستثمارات وإحالة حياة كلها طاقة إلى حياة مستحيلة!

- أحيانا يبدو جدك صعب المراس ، لكن ..

- وأنت تبدين سانجة .

لم يكن رد فعل السيدة الشابة متوقعاً.

لقد رفعت ذقنها في تحد وتقدمت خطوة.

- اه نعم ؟ الاني اقبل قواعد قد جعلت من أسطول "وايت" واحداً من اكثر اساطيل "جول كوف" ازدهاراً ؟ أو لأني اجد جدك اكثر وداً مما تراه انت ؟

- انت لا تعرفينه جيداً لتحكمي عليه .

- انت قاس معه .

- نحن عائلة قاسية جداً.

- هذا من المحتمل . لكني لا اجد سببا يجعل جدك يخفي عني فداحة الموقف .

- أوه ، لقد اخبرك بوجهة نظره . إنه يخفي بعض الحقيقة، وينظمها بطريقته .. على أية حال ، إنه مقتنع دائما بانه على حق. نظرت إليه ثم ابتسمت ، كانت هذه هي الابتسامة الأولى التي يراها على وجهها . اسرته حركة شفتيها الرقيقتين . شعر برغبة تتملكه .

أجابت بعينين ماكرتين:

- إنه ليس الوحيد في العالم الذي يعتقد انه على حق دائماً .

إنها تسخر منه ، هذا بات واضحاً . لكن ابتسامتها غير المتوقعة جعلته يرغب في غفران أقسى سخرية .

- يبدو انك متفاهمة تماما مع جدي اكثر من اي شخص آخر .

- لي أربعة إخوة واب صيادون تماماً كما كان والدك قبل أن ينشئ هذه الشركة الخاصة بمراقبة الحيتان.

- بمعنى آخر ، هم مستقلون ، انانيون، غير محتملين وعنيدون ايضا.

- ربما لم اكن لاذهب بعيداً هكذا .

إلى اي مدى كانت ستذهب ؟ ابتلع جرعة من القهوة الساخنة امتعض من مرارتها .

لم تنجح اي امراة ممن تعاملن مع "وايت" في منعه من التفوه بقصيدة السباب المعتادة او إجباره على الجلوس.

- الجلوس في مصلحته الخاصة.

- كل ما يفعله في مصلحته الخاصة .

انفلتت منها ضحكة مجلجلة.

- يبدو انك ساخر جداً يا سيد "مارلو".

- ذلك ؛ لأن جدي هو من رباني.

أمالت راسها إلى الجنب ونظرت إليه بحاجب متسائل .

تمتم :

- والآن ستخبرينني ان جدي ليس ساخراً.

- أعتقد انه طيب القلب . والسخرية جزء صغير من شخصيته . بقليل من الفطنة يصل المرء إلى التعامل معها .

قهقه "چاك":

- سيلزمني الكثير من الفطنة بما يملأ هذا الخليج ! يبدو أن لديك جرعة كبيرة منها . بما انك مستمرة في العمل معه .

- وسيلزمك الكثير منها ايضاً لإقناعه بإلحاقك بالعمل .

- ساعمل من أجل الاسطول وليس جدي .

- ومن أجلي ؟

انتظرت إجابته ثم استطردت:

- انا لا ادعو شخصاً يقود "سبيريتوس" إلا إذا قبل اتباع اوامري حرفياً بالنسبة للمركب والعمل ايضاً.

لم يسمع إلا صوت آلة القهوة الرتيب.

اخيراً قال :

- أعرف قيادة مركب كما اني اجيد التعامل مع الزبائن وتحقيق

ارباح. لا اعتقد انك ستشتكين مني .

تورد وجه "ماريا". امسكت بظهر المقعد ووقفت امامه .

- إني ادرس الحيتان يا سيد "مارلو" . لست في هذه المهنة لأحقق ربحاً، إني اربح نقوداً بعملي لدى جدك لكن فقط لأوفي بمصروفات مركبي وأمول رحلة بحث محدد لها هذا الشتاء، لكني لا أعرض الحيتان للخطر من اجل المال . لا مجال للنقاش في اني اعمل لدى جدك لأنمي عملي الخاص .

بينما كانت تتحدث ، علا صوتها وعبست ملامح وجهها كان "چاك" حساسا جدا لهذا التوتر الذي اعترى هذا الجسد الرقيق. -اتمنى أن يقدر ولاءك .

قالت في عناد:

- هل هذه سخرية ؟

أجاب بصوت أجش :

- كلا. إنها غيرة.

كم هي رقيقة وجميلة ! إنها مثل نسيم البحر في نهاية الربيع .

تنحنحت "ماريا":

- إنك لم تجب على سؤالي يا سيد "مارلو" .

كان صوتها المتكسر ذا تاثير بالغ على مشاعر الرجل الشاب.

- "چاك" اسمي "چاك" .

أذعنت دون أن تنطق اسمه .

- أنت امراة جادة ، أليس كذلك؟

- جادة ؟ ماذا تقصد؟

- نادراً ما تبتسمين . او تضحكين.

- نحن لم نتحدث عن شيء مثير للضحك.

ابتسمت ابتسامة طفيفة.

قال مقترحاً:

- ربما كان علينا ان نحاول .

- كيف ؟

- يمكننا أن نتحدث عن اشياء مثيرة للضحك . لست ادري .. عن قهوة "مارلو" ، عن النورس ، أو قصي لي بعض النكات السخيفة .

ابتسمت مرة اخرى ورفعت كتفيها:

- اخشى الا يكون لدي شيء مضحك لاقوله الآن.

- هذ مثير للفضول . ولا انا .

- لدي عمل يجب استئنافه يا سيد "مارلو".

انتظر وهي تفرغ ما تبقى من قهوة في الحوض .

ثم قال :

- يبقى أن أعرف إذا كنا سنعمل معاً .

شعرت "ماريا" بالاضطراب ، ونظرت إليه لحظة دون ان تنبس بكلمة . ثم أومات برأسها إشارة للقبول.

"ماريا سانتوس" ، بسلوكها الجاد وبشرتها الناصعة وأناقتها الأسرة . قد أدلت باعتراف دون ان ترغب .

إنها معجبة به مثلما هو معجب بها تماماً . هذا الاكتشاف قد هز أعماق "چاك" .

لقد تملكه قبل ذلك شعور مماثل لكن لم يكن ابداً بهذه القوة التي تشبه هدير الامواج المتدفقة.

إنه منجذب إليها كحال البحارة ، منذ آلاف السنين عندما كانوا يستسلمون لإغواء أغنيات عرائس البحر الساحرة وهن جالسات على صخورهن . مهما كانت النتائج فلن يستطيع الصمود أمام رغبته في

لمسها .

همس :

- أعتقد ان ذلك يستحق المحاولة.

جذبها نحوه وقبلها بقوة شعرت "ماريا" ان الأرض تدور تحت قدميها فتعلقت برقبته.

عندما رفع رأسه ، شعر ان قلبه يدق بسرعة .

ربت شعرها وأغرق نظرته في عينيها . استطاعت ان تقرأ في عينيه الرغبة المتوحشة التي تغمره في تلك اللحظة لكنها استشفت داخلها سؤالاً ايضاً: سؤالاً لم تكن لتثيره ابداً .. هو: هل فقدت عقلها ؟

تمتمت خفية دون جدوى:

- كلا .

نظر إليها "چاك" طويلاً ، وهو مازال لاهثاً ، ثم مرر يده في شعره الأشقر الكثيف الساقط على جبينه ثم خرج من الكافتيريا .

###

كان الليل قد خيم عندما خرجت "ماريا" من المكتب واوصدت الباب الحديدي الثقيل خلفها . لقد امضت ثلاث ساعات لتنهي اعمالها الإدارية اليومية .

كانت الثلاثة المراكب الكبيرات التابعة لشركة "مارلو" قد عادت إلى الرصيف لحلول الليل.

- قطع سكون الليل صيحات طائر النورس ، عندما توجهت "ماريا" نحو "سبيريتوس" وهي تضم بين يديها الترموس.

- "ماريا"!

حياها كابتن الدلافين بإشارة من يده .

سالته :

- أمازلت على الشاطئ ؟

- لقد رحل المورد لتوه.

- في هذا الوقت المتاخر ؟

- قال: إن عليه ملأ خرانات المراكب كلها . يبدو أن مراقبة الحيتان تفتح الشهية.

انفجرت ضاحكة.

- أعتقد انك تعيش على الحب والماء البارد يا ابن العم .

- الحب يجعلني اتغلب على كل شيء إلا شهيتي الشرهة. ثم إن "لوسي" طباخة ماهرة، سيكون أمرا قاسيا الا اشجع مواهبها.

أجابت "ماريا" في مرح:

- أوه، أراهن على انها لا تعتب عليك في شيء. قبلها لي إذا رايتها .

- "ماريا".

التفتت نحوه.

- ماذا حدث خلال هذه المشاجرة التي دارت بين "مارلو" الجد والحفيد بعد الظهر؟

كانت تعرف انه سيطرح عليها هذا السؤال. لقد شاع في كل الميناء خبر المناقشة الصاخبة بين الرجلين.

- كان "جاك" في إجازة طويلة ويريد العودة إلى العمل في الأسطول ولقد عينته كابتن المركب "سبيريتوس".

- "جاك مارلو" حفيد "مارلو" الكبير؟

غير مصدق ، عبس وجه "ميجيل" ثم رفع كتفيه قبل أن يعود إلى كبينة القيادة.

واصلت السيدة الشابة طريقها. وصل إلى مسمعها - وهي تسير فوق كوبري طائر النورس - صوت المكنسة الكهربائية . بسبب عطل

كهربائي. اضطر فريق التنظيف للعمل ليلاً . القت نظرة على مقدمة كل مركب وتبينت في سعادة أن الضوء الأحمر الخاص بنظام الأمان كان مضاء.

احدث نعلها الكاوتش صوتاً فوق الواح الكوبري الخشبية غير المتساوية ، اقتربت من "سبيريتوس".

يبدو أن "جاك مارلو" قد جاء ليتاكد من أن استثماراته تسير بشكل جيد وبالتاكيد سيقضي كل وقته في مراقبة افراد الطاقم، ومراقبتها هي نفسها .

لم تسعدها هذه الفكرة على الإطلاق . القاعدة الضمنية لهذه المهنة هي أن يثق "جاك" بإدارة جده وبالتالي بالمديرة التي الحقها جده بالعمل . لكن هل يعرف هذا الرجل معنى الثقة؟

إن التفكير في وجوده وما يدره عليها كان يصيب "ماريا" بصداع مؤلم لكن الإدارة مهنتها وستواجهها مهما حدث !

عندما تذكرت عناقهما ، ورد فعلها غير المتوقع شعرت برعشة لذيذة تسري في اوصالها .

لكن ماذا حدث لها ؟

هب نسيم بارد ، ومن بعيد استطاعت أن ترى مركب صيد يدخل الميناء . تخيلت رائحة السمك وماء البحر وتعليقات الصيادين عن صيدهم . أصوات رجال . لقد خلقت النساء للبيت ، هكذا يقولون. كثيرا ما حدثتها والدتها :

- لم ار بنتاً ابداً شغوفا بالصيد إلى هذا الحد ، ستتزوجين صياداً وتقضين حياتك في القلق عليه عندما يكون في البحر.

لم ترد "ماريا" الزواج بصياد ، لكنها ارادت أن تكون صيادة تعيش في البحر يهدهدها هدير الأمواج ، اقدم إيقاع عرفه العالم، ولقد نجحت.

لقد سددت ثلثي ثمن مركبها "سبيريتوس" بفضل تدريبات ملاحظة الحيتان التي كانت تنظمها . وعندما بحث "مارلو" العجوز عن مدير يحل محله، كان من الطبيعي أن يتجه نحو تلك التي أطلق عليها أقوى منافسيه. لقد وصلت إلى هذه النتيجة بإصرارها. كان حبها الكبير هو البحر ، ثم تأتي الدراسة وأخيراً "سبيريتوس" .

لقد كرست حياتها لهؤلاء الثلاث ولم يكن لديها مكان لشيء آخر. برشاقة بالغة ، وثبت إلى مركبها وعبرت الجسر المؤدي إلى الكبينة الصغيرة.

قال "چاك مارلو" عندما فتحت الباب:

- اهلاً بك على ظهر السفينة.

الفصل الثالث

نهض على الفورو يداه في جيبيه يتارجح مستنداً على قدم فوق الأخرى . ظلت "ماريا" ساكنة لحظة تتحقق من ان "چاك مارلو" موجود فعلاً في كبينتها ثم اضاءت النور . لقد بدل ملابسه. وارتدى بنطلون "چينز" و"بلوفر" باهت اللون . عندما استدار ليعود إلى المقعد الذي كان جالساً عليه لاحظت "ماريا" انبوباً اصفر نحاسيا يخرج من جيبه الخلفي.

قال:

- لم تكوني هنا عندما نزلت، وبدلاً من أن اهيم على وجهي كالروح الشقية اثرت اقتحام المركب .

- هذا ما أراه .

وضعت الترموس على الطاولة.

كان العمود النحاسي عبارة عن نظارة مكبرة صغيرة جداً ، كانها

www.elromancia.com

لعبة طفل.

سالته:

- هل رفعت علم القراصنة؟

ضحك . كان صوته اجش ، حادا ، ومفعما بالرجولة.

- لم اجرؤ على ذلك . بما اني القبطان فخشيت ان اسجن.

- انت في موقف لاتحسد عليه . بما انك القبطان فقد تخاطر بان تسجن وبما انك قرصان فقد يكون هناك فرصة كبيرة لشنقك.

- إذا قبض علي فقط وفي حالة ان تشتكي السيدة اللطيفة صاحبة السفينة.

- وهل تعتمد على ذلك لكي تفلت من العقاب؟

اضاف وابتسامة ماكرة تعلو شفتيه:

- انا لا اعتمد على ذلك صراحة ، لكنه احتمال بالتاكيد.

فكرت "ماريا" ، نعم إنه احتمال قائم . تلفظت بالسباب مرة أخرى بالبرتغالية . كان من السهل ان تتخيل "چاك مارلو" ، قرصان "وول ستريت"، الهارب من حكم الشنق وقد نجا لانه قبل امراة من قبل رفضت الإبلاغ عنه .

التفتت لتاخذ قدحاً من الدولاب الصغير.

- تستطيع ايضاً التحايل على القانون.

- في المعتاد ، افعل ذلك وفي حالات استثنائية حدثت عن قريب افضل استخدام الإقناع الهادئ عن استخدام القوة.

كم كانت محقة في تشبيهها له بالقرصان ! لكن كيف تفسر لنفسها هذا الأثر الذي يحدثه في مشاعرها؟هذا الرجل خطر . إنه يهدد توازنها دون ان تنتبه لذلك .

في الحقيقة مالم تاخذ حذرها ، فلن يضطر "چاك مارلو" إلى استخدام

القوة:

- الإقناع الهادئ .. انا لا استطيع ان اصف بذلك المناقشة الصغيرة التي تمت هذا الصباح بينك وبين جدك.

نظر إليها بقوة ، ثم اعتلت شفتيه ابتسامة طفيفة.

اجاب على غير المتوقع:

- في الحقيقة ، لم اكن لانوي معارضته ، لكنها عادة قديمة .. ثم إني اشعر بالسعادة كالمجنون عندما اثبت لهذا الثعلب العجوز انه ليس كما يظن رجلا لا يقهر .

وضعت القدح وتناولت واحدا اخر .

- يقول اطباؤه: إنه في خلال شهر سيعود قادرا من جديد على استئناف اعماله . على الاقل نصف الوقت .

- اعرف . لقد تحدثت معهم في ذلك. في الحقيقة ، كنت اتصل بهم يومياً منذ ان داهمه المرض .

- يومياً؟

- احد اطبائه صديق لي .

- ارى ذلك.

سجلت "ماريا" كل هذه المعلومات في هدوء . بدا يكشف لها وجهه الآخر. خلف هذا القناع من السخرية يختفي قلب مليء بالتناقضات . هل هو يعرف ذلك ؟

- هل طلبت من هذا الصديق الاهتمام بجدك؟

- نعم . إنه من احسن اطباء القلب . لم يكن جدي في حالة تسمح له بالاعتراض . إن حالته خطيرة . إنني لا اترك للمصادفة مثل هذه الأمور المهمة.

- اشعر انك قلما تترك شيئا للمصادفة.

- هذا فيما يتعلق بالعمل .

- وبالتاكيد ، حالة جدك الصحية تتعلق بالعمل .

- هذا التقريب صحيح تماماً.

ابتسمت .

- في مجال التامينات يا آنستي العزيزة عندما نتحدث عن المصادفة ، فذلك يعني حادثة من الممكن تجنبها .

- مثل إصابة جدك؟

رفع كتفيه.

- مثل إصابة جدي القادمة. باتخاذ الاحتياطات الكافية ، سيمكننا - بدون شك - تجنبها .

- لنامل ذلك. هل تقيم في المنزل ؟

أجاب "چاك" بابتسامة مريرة:

- لقد عرض علي حجرتي القديمة . وذلك - بلا شك - لكي اظل تحت عينيه .

- هل تتوصل دائماً إلى الاستنتاجات بهذه السرعة؟

- لمعرفتي بجدي ، فهذا هو - بلا شك - الاستنتاج الأكثر صواباً . فانت بما انك سيدة أعمال تعرفين بالتاكيد عما اتحدث. -اعترف باني كثيراً ما اعتمد على حدسي .

أومأ براسه.

- الحدس ليس في معتقدات آل "مارلو" ولا في وسط التامينات.

ازالت "ماريا" غطاء زجاجة الترموس وافرغت الشاي الساخن في قدح "چاك" .

- هل نتحدث عن جدك أم عن الطريقة التي ادير بها اسطوله يا سيد "مارلو"؟

تجاهل نبرة التحدي التي ميزت سؤالها لكنه سعد بانها قد غيرت موضوع الحديث.

- لقد لاحظت نظام الأمان الجديد على المراكب، اعتقد انك انت من اقمت هذا النظام.

اجابت بصوت لايخلو من الفخر:

- نعم اعتقد انه من المهم الوقوف على آخر ما توصل إليه العلم في هذا المجال .

- متى قررت تحقيق ذلك؟

- بعد قراري باتخاذ طريق الأعمال بقليل . إني اولي الأمان اهمية كبيرة .

ارتشفت بعض الشاي واضافت :

- مراقبة الحيتان ليست شركة تهدف إلى الربح المالي فقط، إن زبائننا ياتون لمشاهدة الحيتان ؛ لأن ذلك يوفر لهم متعة فريدة ، والفرصة النادرة للتعرف على خلق آخر ، وشكل آخر من اشكال الذكاء . إني اطبق حدوداً امنية صارمة جداً واعرف ماذا يفعل الموظفون . باستثناء ذلك ، اعتمد على حدسي . ليس امامي الخيار ، هناك عدد من الأشياء في هذه المهنة لا تستطيع السيطرة عليها.

- مثل ماذا مثلاً؟

- يجب ان ناخذ في الاعتبار ذكاء الحيتان.

لم يجب "چاك" . كانت اصوات الأمواج المتكسرة على هيكل السفينة "سبيريتوس" واضحة ومسموعة.

قال اخيراً :

- انت تهتمين بحيتانك للغاية ، اليس كذلك؟

كانت هذه هي المرة الثانية التي يعتب عليها فيها اهتمامها الكبير

بالحيتان وكانت تجد صعوبة في تبرير ذلك.

أجابت:

- بما انك شريك في هذه الشركة فإن هذا الأمر يدخل إلى قلبك الاطمئنان.

- بالتأكيد . إيه .. لقد جئت لأراك حتى أقدم لك اعتذاراتي؛ بعد الظهر، تعديت الحدود في تقبيلك، ليست لدي النية في إقامة علاقة عمل جافة.

إن صوت هذا الرجل يهز أعماقها ، إنها لا تعرف كيف تتصرف.

قال مفسراً بضحكة لطيفة:

- كنت مستعداً لأخبرك انني لست ادري ما الم بي، لكنك عندما دخلت إلى هنا وجدت انه من البلاهة حقاً ادعاء ذلك . إني أعرف جيداً ما الم بي . لا جدوى من التحدث عن ذلك .. أو الاعتذار.

احيانا يفعل المرء هذه الاشياء . لكني على يقين من أن ذلك لن يتكرر .

- ولمَ لا ؟

- إيه .. عفواً؟

- ولم لا ؟

تنفست "ماريا" بعمق . لقد هزها هذا الصوت بقوة . ماذا أراد أن يسمع منها على سبيل الإجابة؟

- انت تعمل من أجلي يا سيد "مارلو" . وانا رئيستك . أو على الأحرى بما انك تمتلك ثلاثين بالمائة من هذه الشركة يمكننا القول: إنك رئيسي . وبالإضافة إلى ذلك ، فكلانا يعرف بما لايدع مجالاً للشك انك قد جئت إلى هنا لتقييم مهارتي في الإدارة.اعتقد ان الموقف معقد بالفعل .

رفع كتفيه واحتسى بعضاً من الشاي.

- هذا صحيح ؛ إنني قد جئت لألقي نظرة على العمل ولكن ليس

معنى ذلك بالضرورة اننا في فريقين متنافسين.

- إني آخذ عملي ماخذ الجد يا سيد "مارلو" . إنه ليس عملاً صغيراً . لدي عمل أريد إتمامه ومركب أريد سداد حقه . ولا ابحث عن علاقة عاطفية الآن.

رمقها بعيني قرصان ، ثم سالها بصوت خشن:

- هل انت مرتبطة ؟ هل انت على علاقة جادة بشخص ما ؟

كانت الإجابة بالنفي ، لكنها لن تبوح له بذلك.

- نعم ، في الحقيقة.

ساد الصمت من جديد.

- هل اعرفه ؟

أصابها سؤاله بالدهشة . باي حق يسمح لنفسه بان يطرح عليها هذه الأسئلة الشخصية ؟ كيف استطاع أن يتخيل انها ستجيبه؟

هذا الرجل لا يخلو من الوقاحة ! لقد صعد إلى مركبها دون أن يدعوه أحد ، سحب اعتذاره قبل أن يقدمه ، ثم اتهمها بانها تفتقد إلى روح الدعابة وانها جادة في العمل.

بحثت بسرعة عن إجابة لبقة لترضي هذا الفضول غير المتوقع .

أجابته:

- لن تتاخر في التعرف عليه . اسمه "بواكيم".

- "بواكيم" ؟ هل يعمل معك؟

اثارت ابتسامتها نبرة العداوة التي استشفتها في صوته .

- إنه ياتي كل يوم باستمرار ومن الصعب عدم ملاحظته. وزنه حوالي خمسين طناً.

غمز "جاك" بعينه غير مصدق.

- حوت! انت تتحدثين عن حوت ..

- اوه ، نعم ! علاقتنا عاطفية اكثر منها مهنية ، أعترف بان لذلك فوائده..

- اريد أن أصدقك .

رفع قدحه وابتسم ، معرباً للسيدة الشابة عن انها قد امتلكت قلبه .

لم تكن روحه المرحة شيئاً مضجرا بل على العكس، وحاولت "ماريا" أن تكتشف شيئاً فشيئاً سمات شخصية "جاك مارلو" سالته:

- الم تقع في غرام حوت ابداً عندما كنت تنظم رحلات مشاهدة الحيتان؟

- نعم .

- إني اقدم لك إذن تجربة خيالية.

- بدون شك . لكن هل سمعت عن المشكلات. التي قد تنشا نتيجة لعلاقة بين فردين من جنسين مختلفين؟ لا تستطيعين أن تعرفي كم من هذه العلاقات انتهت باللجوء إلى العلاج!

ضحكت:

- افضل أن أؤمن بان الحب يتغلب على كل المشكلات .

ابتسم "جاك" بدوره ، بينما اصبحت نظرته اكثرحدة .

- ربما لم تحضري جلسة طلاق في المحكمة ابداً.

اصبحت نبرة صوته حادة ، ثم ابتعد عن موضوع الطلاق قائلا:

- حسناً ، متى ساستطيع إذن التعرف على "بواكيم"؟ إذا كنت ساقود هذا الهيكل ، يجب أن تطلعيني على كل الأسرار . فانا تحت أمرك.

- ربما انت ولكن ليس "سبيريتوس" . غداً هو اليوم الوحيد الذي لا توجد فيه رحلة بالنسبة له .

- ساكون مساعدك يا كابتن . او كيف علي أن اناديك ، إذ إنه انا من اشغل هذه الوظيفة؟

ابتسمت :

- معظم الموظفين ينادونني " الرئيسة".

- حقا ؟

- وعفواً، إني حريصة دائما على الا أطلق على "سبيريتوس".

هيكلاً ! ربما لايمثل ربع مركب واحد من مراكب اسطولك لكنه ملك لي.

ارجوك إذن ان تظهر له قليلاً من الاحترام يا سيد "مارلو".

- نعم يا رئيسة.

استطردت وهي تصرفه:

- إنها العاشرة والنصف ، سيكون المد عالياً.

تلقى الأمر عن طيب خاطر ووضع قدحه على الطاولة قبل أن يتجه إلى الباب.

- ساذهب .

- حسناً.

- اوه .. "ماريا"..

اقترب من السيدة الشابة.

- ساحضر علم القراصنة الخاص بي . من يعرف . ربما كان على من أراد إقامة علاقة عاطفية مع "حوت" أن يتحلى بروح المغامرة .

قالت بصوت حازم:

- إنك تغازل من جديد عقوبة الشنق يا كابتن.

امتزج في ابتسامته وقاحة ووعيد.

- اود المخاطرة.

سمعت خطواته على جسر المركب الذي اهتز بخفة عندما قفز إلى الرصيف.

مازال قدح الشاي في يدها ، كانت تحملق إلى الباب، وقد تصاعد

صوت دقات قلبها . هناك شيء خفي يجذبها إلى ذلك الرجل . إنها ليست المرة الأولى التي تتبادل فيها قبلة إلا أنها أول قبلة بتلك الحرارة والعاطفة . لكن لا جدوى من ذلك ، لن تقع في الفخ . ليس هناك مجال لإقامة علاقة حب مع "جاك مارلو" إنه ليس فقط موظفا يعمل لأجلها لكنه ايضا حفيد رئيسها ، وشريك في الشركة .

دون الحديث عن ميله إلى القرصنة ، فهو لا يتردد امام أي فريسة ، وهو معتاد أن ينال كل ما يرغب .. لا ، إنها ليست حمقاء إلى هذا الحد حتى ترتبط بشخص خطر في طبعه .

بحركة ثابتة قذفت باقي الشاي في الحوض .

###

من الغرفة الصغيرة الواقعة في مؤخرة منزل جده ، وقف "جاك" يراقب مركب "ماريا سانتوس" . قريبا إنه سيقود هذا المركب .

والابتسامة تعلو شفتيه ، استخدم "جاك" النظارة المكبرة الصغيرة التي وجدها . كان يتحرق شوقاً أن يراقب السيدة الشابة ، أملاً أن يراها تتحرك في كبينتها بملابسها الداخلية .

منذ أن راها وهو يتخيل هذا المشهد وهي ترتدي الملابس الفضفاضة تحت ملابس الصيد.

منذ متى كانت تستطيع امراة ان تجذبه إليها بهذه القوة ؟ كما أنها قد تجاوبت مع عناقه بحرارة قبل أن تدفعه في رقة.

لقد وضعت "ماريا سانتوس" عواطفها جانباً وحولت عقلها إلى العمل فقط . إن الرجل الذي يشعربالغيرة ولو فترة وجيزة من حوت فهو في ازمة حقاً!

يبدو أن "ماريا" امراة جادة شغوف بعملها ، وفية تجاه صاحب العمل وصادقة . إنها ذكية ومليئة بالمشاعر الطيبة . وهذا ما كان

متاكدا منه بفطرته . لكن كيف يجعلها تمنحه ثقتها وهو الذي مر بتجربة طلاق مدوية ترتبت عليها كوارث مالية.

ومض ضوء فوق مركب "لالباتروس" فتوجه بنظارته نحو المركب الكبير . لقد اقامت "ماريا" نظاماً آمنا يلزم البحارة بالتواجد على سطوح مراكبهم أثناء مرور الموردين، وخدمات النظافة او الصيانة . كان هذا النظام الواقي يوزع المسؤوليات ويصعب اي محاولة للعصيان من جانب العمال ، إنه نظام صعب ، لكنه ليس مستحيلا. كانت هناك حادثة اخرى وهي السؤال عن معرفة متى ؟ ومن ؟

العلامات تشير مباشرة إلى الكابتن .. أو ربما يكون مصدراً للحادثة. حتى "ماريا" من الممكن أن تكون ضمن القائمة .

إنها سيدة أمينة لكنها حساسة . إنه يعتقد أن حبها للحيتان قد يدفعها إلى أعمال إجرامية .

لكن إذا كان له الخيار بين شغف "ماريا" بالحيتان والمصالح المالية لشركة "مارلو" ، فلن يتردد لحظة، ستخسر الحيتان بكل تاكيد.

الفصل الرابع

كان الجو صحواً في اليوم التالي . إنه نهار مشمس دون ان يشوبه اي رياح . عندما خرجت "ماريا" إلى الجسر لتتحقق من جهاز إرشاد السفن، كان الماء في الميناء املس تماماً مثل المراة . شمرت كمي قميصها وامسكت النظارة المكبرة لتراقب مدخل الميناء.لقد خرج "ميجيل" بالفعل .

إنها ساعة إطعام الحيتان . شعرت بالغيظ . لو كانت طلبت فقط من "چاك" ان يلحق بها مبكراً!

عندما استدارت نحو الرصيف ، راته يقفز بخفة نحو "سبيريتوس" . كان مرتديا "چينزا" ضيقا و"بلوفر" يبرز عرض كتفيه وضخامة جذعه . فكرت مفتونة : "يا إلهي كم ابدعت خلقه!"

توقف امامها ونظر إليها . إنها ترتدي بنطلون قصيراً وقميصاً من

"الفلانيل" فليس في مظهرها ما يثير هذا الرجل . لكنها قد عرفته الآن بالقدر الكافي حتى تعلم أن بعض الخيال يرضيه تماماً.

القى إليها بالتحية بصوت خشن:

- صباح الخير .

- صباح الخير "كابتن مارلو" لقد جئت مبكراً .

- قلت لنفسي: إنك سترغبين في الخروج إلى البحر مبكراً فلم أردك أن تذهبي بدوني .

قفز إلى المركب :

- تماماً ، هذا ما فكرت فيه ! لقد خرج "ميجيل" بسفينة "لودوفان" منذ ساعة ونصف وقد ندمت على اني اعطيتك ميعاداً متاخرا.

ذهب بصر "چاك" صوب مكان مركب "لودوفان" الخاوي ثم عاد صوبها.

- آه ، هكذا كنت تنتظرينني بفارغ الصبر .

لم تستطع "ماريا" ان تمنع ابتسامتها . إن هذا القرصان يشغل تفكيرها .

- حسناً، بما انك هنا ، فاستعد للقيادة ساشغل المحركات .

انحنت "ماريا" لتلتقط حقيبته التي القى بها وضمتها بين ذراعيها .

- ساضع حاجياتك في الكبينة.

- هيه! كوني حذرة مع الحقيبة!

قطبت حاجبيها . وخففت ضمتها للحقيبة.

- ماذا بها ؟

- الغداء.

ابتسم واضاف :

- رغيف خبز ، زجاجة عصير برتقال والادوات اللازمة للقرصان الجيد: جمجمة ، وعظام.

ما سر اللعبة التي يلعبها ؟ اي شيء ثمين احضره في هذه الحقيبة ؟

- إنني انا المسؤولة عن الغداء يا "كابتن . بشرط ان تؤدي عملاً مرضياً في هذا الصباح.

لم تمهله وقتاً ليجيبها ، نزلت إلى الكبينة حيث القت بحقيبة "جاك" فوق مقعد . وبحركة تلقائية ، اعملت . محركي الديزل الخاصين بـ" سبيريتوس".

ساكنة ، سمعت صوت المحركات المنتظم وترددات الصوت المعتادة التي تبعث الدفء إلى قلبها . منذ ثلاث سنين كانت تذهب بمركبها حيثما شاءت . يمكنها الإبحار بسرعة عشرين عقدة فوق اي بحر ، وهي ثابتة مثل اعظم قبطان .

وفكرة ان تولي قيادتها لشخص آخر تذهب ضد غريزة التملك التي تسكنها . كانت تعرف ان "جاك" جدير بقيادة مركب .

لن تعهد إليه بمركبها .

اخرجت "ماريا" رأسها من كبينة القيادة.

امرته قائلة:

- فك الحبال .

مال "جاك" فوق الحبال ، فكها والقى بها على الجسر. ثم قفز برشاقة فوق المركب .

بخطى سريعة اتجه صوب الكبينة . من فتحة الباب.

وقف يشاهد السيدة الشابة تمسك عجلة القيادة .

في ضوء النهار المنعكس في الكبينة ، رأت "ماريا" ان عيني "جاك" اكثر زرقة من الأمس. لكنهما احتفظتا بنفس النظرة الحادة ، التي تسبب اضطراب من يقع تحت فحصهما . وطرأ على ذهنها انه إذا قبلها الآن فسيكون لقبلته مذاق القهوة.

وعندما لم تتحرك ، عقد حاجبيه.

- الن تخرجي المركب؟

- نعم . انت الذي ستتولى هذا الأمر.

القى نظرة على عجلة القيادة ، ثم رفع كتفيه .

- حسناً .

تنحت له عن مكانها .

فعل كما كانت تفعل من دقائق ، اختبر مقياس حمولة السفينة ، ونظر حوله ممسكاً بعجلة القيادة . وقع بصره على آلة كانت قد وضعتها في ركن الكبينة .

سالها :

- ما هذا ؟

- سماعة مائية . وبتعبير اخر إنه ميكروفون يستخدم في اعماق البحار .

- لسماع الحيتان؟

- نعم .

- اعتقد انها تغني في الشتاء فقط في منطقة الجنوب ، إنه طقس مرتبط بالتكاثر .

- لا اعتقد ان هناك من جزم بان ذلك تقليد لديها ، لكن هذا صحيح. إن معظم علماء الأحياء يعتقدون ان الحيتان لا تغني إلا في مهجرها الشتوي.

- معظم علماء الأحياء فقط؟

- أوه ، هناك العديد من الأشياء التي نجهلها عن الحيتان.

عقدت ذراعيها فوق صدرها متشبهة بمظهر العلماء مما أثار الضحك في نفس "جاك" . لكنه فضل الا يستكمل الحديث الخاص بالنظريات الغريبة التي تعرفها السيدة الشابة عن عادات وتقاليد الحيتان .

أولى كل عنايته إلى الكشف الدقيق على لوحة المفاتيح قبل ان يقلب نظام احد المحركات . كانت "ماريا" تعض على شفتيها حتى تمنع نفسها من أن تسدي له النصائح . من الواضح انه ليس بحاجة إلى النصائح. ارجع "سبيريتوس" إلى الخلف ببطء وغادر الرصيف قبل أن يوجه راس المركب إلى فتحة الميناء . لقد قام "جاك" بكل هذه الأعمال بسهولة بالغة كما لو كان اعتاد القيام بها كل يوم .

عندما تركا وتخطيا العوامات الحمراء الأخيرة وغادرا القناة الرئيسية ، التفت "جاك" نحوها مبتسماً :

- ماذا إذن يا رئيسة ، هل نجحت في الامتحان ؟

- اعتقد أن هذا السؤال لا يوجد له داع .

ولتمنع نفسها من الابتسام بدورها ، اشارت بإبهامها نحوه قائلة :

- عندما يكون المد عالياً ، يمكننا أن ...

- أعرف.

لقد غير اتجاهه ، مصوباً المركب نحو "جول كوف" بمهارة ادهشت

"ماريا" .

فاطمانت وزال عنها التوتر قليلاً:

- يبدو أنك لا تواجه أي صعاب في تذكر تقنيات الإبحار.

- أوه ، لا اعتقد أن ذلك شيء ينسى . ما رأيك في ذلك؟

- لست أدري. لم أبتعد عن ركوب البحر مدة طويلة حتى اتبين ذلك .

- اعترف أنني في يوم من الأيام لم أكن لأفكر في انني ساترك هذا العمل.

خلف هذا الاعتراف البسيط ، استشفت "ماريا" حساسية مرهفة تتناقض مع روحه المرحة الساخرة وفلسفته العملية .

- لماذا رحلت إذن ؟

- نشبت بيني وبين جدي بعض الخلافات. لا تخبريني بان تلك القصة لم تنتقل إليك.

- نعم لقد سمعت البعض يتحدثون عنها . لكن كان بإمكانك الا تبعد عن المنزل بهذه الطريقة الجذرية . كان يمكنك إقامة شركتك الخاصة لمراقبة الحيتان مثلاً.

- ها .. إن المحيط ليس بهذا الاتساع حتى يكفينا نحن الاثنين.

ينزلق المركب الآن في هدوء على بحر زيتي . ينشق الماء مع مرور راس "سبيريتوس" الناعم فلا يحدث حتى كسرات في الماء .

- يصعب علي تخيل ذلك . إن المحيط فسيح للغاية، لا حدود له.. لا استطيع أن اصدق انه ليس هناك مكان فيه لجد وحفيده.

- هل هذا هو رأيك ؟ إن المحيط فسيح بالقدر الكافي حتى يتسع لآراء العالم بأسره؟

- إلى حد ما .

- هذا يعتمد على الزاوية التي تنظرين منها للامور . اليس كذلك ؟

اخذت برهة قبل ان تفهم ، ثم ابتسمت .

- هل جدك هو من اورثك بعد النظر ؟

- نعم إنه هو . ولقد علمني ايضاً الاستفادة منه .

- هذا ما فكرت فيه .

ضحك ، لكن بفتور:

- لا تظني ان جدي رجل عاطفي .

تيبست يداه فوق عجلة القيادة .

اضاف :

- حتى انا لا اظنه كذلك.

ماذا يقصد من ذلك ؟ تولد في قلب السيدة الشابة شيء من الخوف .. هل وصل الأمر بـ"جاك" الساخر إلى ان يتفق مع جده لينذرها بشيء ما.

- هل هذا إنذار يا "جاك مارلو".

لمعت عيناه بمكر ، وابتسم :

- لقد حذرتك بالفعل الا تثقي بي . كان ذلك قريباً جداً بالامس. - الامس ؟

توقفت عيناه عند شفتيها العذبتين .

- إذا اردت يمكنني البدء في ذلك من جديد.

- لا . لا مجال لذلك . ليس بعد مرور كل هذا الوقت لقيادتك مركبي .

كانت تتوقع منه ان يضحك امام سذاجة إجابتها ، لكنه لم يفعل.

- حسنا . وماذا عن الغداء ؟

في الحقيقة ، اخبرته بانها ستعد الغداء .

- اسمع يا سيد"مارلو"..

- إذا كانت لديك النيه في التعامل معي بسلاسة يمكنك على الاقل مناداتي "جاك"..

- حسناً يا "جاك" . لقد اشرت إلى يوم عمل جاد وغداء سريع يتناسب مع من خرجوا لمشاهدة الحيتان . يبدو لي الآن انني استحققت كل التحذيرات .

- هل انت متاكدة من ذلك ؟

لقد اصبح صوته اكثر خشونة واكثر جاذبية.

- لم اخرج إلى البحر منذ ثلاث سنوات . ولا يوجد في العالم شخص، باستثناء "ماريا" ، تمنيت ان يشاركني هذه التجربة . إنها الحقيقة الخالصة وليس في ذلك علاقة بمن يعمل لدى من. اصيبت السيدة الشابة بالحيرة . كانت كلماته مفعمة بالثقة لدرجة لا تحتمل الشك؛ تزايدت سرعة دقات قلبها ، لكن اعادتها رجاحة عقلها إلى الواقع.

- لن .. اتبادل معك الغزل يا "جاك" ، هذه ليست فكرة طيبة.

- انا لا اغازلك.

- مهما قلت ، فالسبب الوحيد لوجودك فوق ظهر هذا المركب .

هو ان تتاكد انني ادير مشروعك الاستثماري بالشكل الصحيح.

- "ماريا" ، هذا ليس صحيحاً..

- بلى . إنني انا المسؤولة عن هذا الاسطول وكل ما يجري فيه . إذا ما اظهر بعض العمال إهمالاً ، فانا المسؤولة عنه. وإذا كان هناك نقص

في الاحتياطات ، فانا الملومة عن ذلك . انا لست عاملة بسيطة من اجل فترة الصيف يا "چاك" .

استحال صوتها همساً ، معبراً عن عاطفة اعمق من شعور الخوف من أن تكون غير كفاة في نظره .

- ولست اريد أن اكون في مغامرة مدتها شهران يعيشها حفيد صاحب العمل .

حدق إليها "چاك" بشدة . إنه لا يستحق أن يبعد هكذا.

إنها غير عادلة فليس به شيء من سلوك الطفل المدلل . إنه يستحق كل الامتيازات المالية التي يتمتع بها . لقد توصل لمركزه بقوة ساعده . ستندم على ما قالت . إذا كان مقدرا أن يحدث شيء بينهما ، فلن يكون "چاك مارلو" مجرد قصة حب عابرة بالنسبة لها .

أغلق عينيه ورجع برأسه إلى الخلف ، انفلتت من بين شفتيه تنهيدة طويلة.

قال مقترحاً:

- ما قولك في مغامرة مع الكابتن الجديد؟

تلاشى التوتر الذي ساد بينهما وابتسمت :

- ماذا تريدني أن أجيب عن ذلك؟

- أتوقع أن تجيبي "بلا" وتسرعين إلى موضوع آخر. الحيتان مثلاً . هذا ما ستفعلينه تماماً وربما ستهددينني مرة أخرى بـ"بواكيم".

ابتسمت .

- نحن هنا لكي نشاهد الحيتان . وسياتي "بواكيم" .

- هل اقتنعت بذلك.

- اوه ، نعم.

ردد بصوت ساخر :

- اوه نعم . غريزتك ، اليس كذلك؟

- من الأفضل ان تتبع غريزتك انت ايضاً إذا اردت النجاح في متابعة الحيتان يا كابتن "مارلو" .

- لا اعتقد ان لدينا نفس الغرائز يا رئيستي العزيزة. وإلا فساكون مضطراً لإثارة "بواكيم" لينازلني . وهو يزيد عني باكثر من تسعة واربعين طناً.

انفجرت "ماريا" في الضحك ، وقد لمستها رعايته الطفولية .

لقد وجدته لا يقاوم ، وفي المستقبل يجب أن تخشى من ضعفها امامه إذا أرادت الا ياسرها .

استمر "چاك" في الإبحار بسرعة تسع عشرة عقدة في المياه الهادئة متجهاً إلى "ستيل ڤاجون بنك" وهو مكان تموين لأعداد لا تحصى من المخلوقات التي تعيش على طول سواحل "ماساشوسيتس" . لم يتطلب المركب اهتماماً كبيرا، واتصلت "ماريا" - بالراديو - باعضاء الأسطول الآخرين.

أعلمها صوت "ميجيل" الغليظ :

- لقد رايت توا حوتا آخر .

قالت له "ماريا" :

- عمل جيد . اي منهم ؟

- لا أستطيع ان اقول لك . إني اتبعه . إنه يتوجه نحو الآخرين ، نحو الجنوب .

- تماما . اتصل بي بمجرد أن تستطيع تحديد شخصيته. وضعت الميكروفون وأمسكت النظارة المكبرة .

القى "جاك" نظرة إلى الزوايا وقوم اتجاه المركب بعض الدرجات .

- هل نبحر نحو الجنوب يا رئيسة ؟

مسحت الأفق الخالي بنظارتها المكبرة.

أجابته فجاة :

- كلا . اوقف المحركات . سنبقى هنا بعض الوقت .

- هنا ؟ لا يوجد اي حوت على مرمى البصر.

- الآن فقط.

بدا متردداً فابتسمت :

- ماذا يا كابتن ، الا تثق بحدسي؟

بحركة مداعبة ، قام بتحية عسكرية واوقف المحركات .

توقف "سبيريتوس" محدثاً صوتاً متنافراً.

سالته :

- هل معك نظارة مكبرة في حقيبتك؟

اشار : إشارة تعني نعم.

- أخرجها إذن .

وهي متوجهة صوب الباب ، اضافت :

- ساحضر لك بعض السندوتشات . هل تريد عصير ليمون ؟

- من فضلك.

ضحك من قرار السيدة الشابة الذي لا يبدو منطقياً، اخرج نظارته المكبرة من الحقيبة وذهب يلحق بها على ظهر المركب .

امتد الأطلنطي حولها كغطاء فسيح أزرق ضارب للخضرة وقد حرك سطحه نسمة لطيفة بعيداً ، كان مركب صيد هو الوجود الإنساني الوحيد . خلفهما سمكة تسعى في البحر وتلحق بها على الفور سمكة اكبر تلتقمها في فم مرتعش.

نظر "جاك" إلى الأفق منتبهاً لوضعهما المؤقت فهما منعزلان في منتصف المحيط تماماً ، وهما يمثلان هدفاً جيداً لشخص سيئ النيات . فقد يستطيع التخلص - مثلاً - من المديرة التي عينها "وايت" وأن يخرب "سبيريتوس" بنفس الطريقة التي خرب بها باقي مراكب "مارلو". إن الحوادث التي اصابت الأسطول ، كانت حتى الآن دون خطورة . لكن لا شيء يؤكد انها ستستمر على هذا النحو أو أن مركب "ماريا" سينجو. الراديو ، محركاته ، هيكله .. واهداف عديدة ! كما أن مركبها ليس مزوداً باجهزة الأمان الجديدة على سبيل الحماية .

ليس الآن ، على الأقل .

- عصير تفاح ، هل يروق لك هذا؟

- نعم ، هذا عظيم.

وضعت حمولتها من السندوتشات والمشروبات.. وما تعرف عليه "جاك" بانها السماعة المائية.

وبكفاءة لا يمكن ان يكون مصدرها إلا تجربة طويلة ، فكت حبلاً، ادخلته في حلقة ، وتركت الميكروفون ينزلق في عمق الماء . تصاعد من الميكروفون اصوات وفرقعة فقاقيع الهواء ثم تلاشت هذه الأصوات .

بعد أن تاكدت أن السماعة قد غاصت عميقاً جداً ، التفتت نحو "جاك". نظر إليها وهي تقوم بكل ذلك وقد تاثر بسلاسة وسهولة حركاتها

Rawaelromancia.com

مما ايقظ في نفسه رغبة دفينة.

لم تستطع تفسير نظرة عينيه فرفعت كتفيها .

- حسناً ! ربما لن نسمع غناء الحيتان . لكنها طريقة جيدة للتحدث مع الزبائن عن بعض المعلومات الخاصة بالحيتان . إنهم يحبون سماع صوت الأعماق . وهذا البعد المسموع .

- هل هذا هو ما يعجبك في الحيتان (بعدها المسموع)؟

ابتسمت :

- نعم . في "برمودا" ، كنت متعلقة بها بالفعل ، لكن دعتني إحدى اساتذتي وزوجها لقضاء بضعة ايام فوق مركبهما . ذهبنا إلى المنطقة التي تتكاثر فيها الحيتان . كان ذلك منذ عدة سنوات عندما ذهبنا إلى هناك لتسجيل اغاني الحيتان . وعندما سمعت تلك الاغاني . فتنت بها بمعنى الكلمة . في الحقيقة. كان شعوري يستحيل وصفه . كان ينبعث من البحر اصوات ساخرة كان ذلك رائعاً . بديعاً.

احتسى جرعة من شرابه ونظر إلى التعبيرات التي اعتلت ملامح السيدة الشابة .

- عندما تعودين إلى هناك ، ربما تتعرفين على الحيتان المغنية.

- لن اعود إلى هناك ابداً. وعلى اية حال ، لن استطيع التعرف عليها . إن اغانيها جميعها متشابهة ويستحيل التمييز بينها . كل حيتان "برمودا" تغني نفس اللحن .

- يمكنك إذن الغناء معها .

- حتى ذلك لا استطيعه . إن اللحن يتغير كل سنة . إنه يتطور من سنة إلى أخرى ، وينتهج موسيقى جديدة تندمج مع الالحان القديمة .

وهذا من الروعة والغرابة ايضاً. الحيتان جميعها تغني نفس اللحن . وإذا طرا تغيير ، فهي تتناقله بطريقة او باخرى . هذا شيء .. مدهش للغاية.. إنه شكل آخر للذكاء . إنها مخلوقات من عالم آخر.

ثم ضحكت :

- لن اسمع - بدون شك - اي اغنية بطول سواحل "ماساشوسيتس" لكني لا اريد ان افقد اية فرصة لذلك. وعلى اية حال غالبا ما يصاب زبائننا من ركاب المركب بالحيرة من هذه القصص .

- هل تقصدين انهم سينتظرون مني ان اعلق الميكروفون. انا ايضاً ؟

- تماماً . ومن يعرف .. ربما تسمع شيئا .

- ربما . نعم .

- إذا حدث ذلك ، فستتغير حياتك.

تفوهت بتلك الكلمات بنبرة غريبة ، وابتسامة غامضة فوق شفتيها.

شعر "چاك" بشيء ينقبض في صدره . شيء لم يشعر به منذ زمن طويل . منذ أن فقد آماله في طلاق كلفه اكثر من نصف مليون دولار ومهانة لا حدود لها . هز كتفيه ليطرد هذه الذكريات التعسة . إن التفكير في اخطائه الماضية لن يفيد في شيء .

- كم من الوقت تنوين الانتظار هنا؟

- لست ادري . الأمر يتوقف على ما سيحدث . على اية حال رصد مركب "لودوفان" مكان الحيتان وسنكون على علم به قريباً. الراديو مضاء وسنسمع صوت "ميجيل" إذا تعرف على احد الحيتان .

- هل اعطيته ابعاداعن المتوقع حدوثه ؟

- نعم ، لماذا ؟

أجاب بإيجاز :

- قد تحدث حادثة بسرعة .

لكنه ندم على الفور لتخليه عن الكتمان . لقد قال أكثر مما أراد قوله ، لكن ذلك بسبب استسلامه لعاطفته التي أخمدت ضميره المهني . فليس لأنه مؤمن يجب عليه إثارة قلق من حوله . وخاصة "ماريا".

لكن أن تنتبه إلى ذلك أم لا ، فالسيدة الشابة تخاطر بأن تعرض نفسها للخطر. هل كانت على علم بكل أعمال "وايت" ؟ هل تعرف أعداءه الأقوياء؟

سألها متظاهراً بعدم الاكتراث قدر ما استطاع :

- هل تغيرين أحيانا قائدي المركب ؟

- أحياناً . إذا لم يستطع أحدهم المجيء ، أخذ مكانه . أو أدعو واحداً آخر .

حتى لو لم تكن هدفاً مباشراً لعمل تخريبي ، فهي معرضة لخطر أن تصاب بدلاً من شخص آخر . كما أن "سبيريتوس" لا يتمتع بأي نظام أمني .

أقلقها الصمت الذي ساد بينهما . التفتت وأمسكت بنظارتها المكبرة من جديد لتنظر إلى صفحة الماء .

لم يستطع إلا القبول . كانت "ماريا سانتوس" متخصصة ومما لا شك فيه ، تعرف قيادة مركبها بشكل جيد مثله تماماً. وإذا كان أسطول "مارلو" هدفاً لأحد المخربين فستكون السفينة "سبيريتوس" - بدون شك - في نهاية القائمة .

نظر "جاك" في إعجاب إلى قوامها المثالي ، وملامح وجهها الكلاسيكية .

كيف يستطيع أن يصمت ؟ ولا يخبرها بالخطر الذي قد يداهمها؟ يجب أن يخبرها ..

- هل يخرج أحد غيرك على ظهر هذه السفينة؟

- لا ، حتى الآن . إني أعيش معظم الوقت فوق ظهرها . لي غرفة في منزل جدك ، لكن من يريدني يبحث عني فوق المركب . يوماً ما ، كان لدى "توم بيريرا" رسالة من أجل "ميجيل" وتركها في "سبيريتوس" .

- "ميجيل" ؟ هل تتسلمين دائماً خطاباته ؟

- نعم . إنه يفعل نفس الشيء من أجلي .

شعر "جاك" بشيء من المرارة.

- فريق أصدقاء جيد، ها !

اتخذ وجه "ماريا" مظهراً جاداً.

- إنهم جميعاً أصدقاء . هل هذا ما يثير قلقك. إني أعرف كل كابتن وبعض أعضاء الطاقم منذ عدة سنوات.

- يجب أن تضمي "سبيريتوس" إلى نظام الأمان . وخاصة بما أني الكابتن الذي يقوده ولن يكون ذلك إلا مدة محدودة . يجب تأمينه مثل سائر مراكب الأسطول بالإضافة إلى أنك ستوفرين بعض المال .

نظرت إليه لحظة :

- يجب أن أطلب موافقة "وايت".

- سيمكنك إقناعه - بدون شك - بأنها إحدى أفكاره . فذلك سيجعل الأمور أكثر سهولة . إني دهش حقاً من أنه لم يفكر في تزويد مركبك

بجهاز أمان .. ليس من طبيعته إظهار الإهمال تجاه الأرواح والممتلكات.

سالته بضحكة ساخرة :

- الأرواح والممتلكات ؟

- هذا ما نصت عليه بوليصة التامين .

- آه ! فهمت . لا بد انني لم اقرا السطور المكتوبة بخط صغير .

- ساهتم بالإجراءات وعلى الفور سياتي الرجال المسؤولون عن الأمن. اعدك بالا يكون هناك اية عراقيل من قبل التامين .

- هل هناك شيء آخر .. يا "كابتن"؟

نزع الكيس البلاستيك الذي غلف الساندوتش وقضمه .

تمتم:

- نعم ، يمكنك ان تخبري "ميجيل" هذا من الآن فصاعدا أن يتسلم خطاباته على مركبه.

لم تجب "ماريا" محاولة فهم انفعالات "جاك" الغريبة .

اجابته بجفاف:

- إذا كنت تشك في وجود اي إهمال .. فإن "ميجيل" ليس رجلك.

- آه حسناً ، رجل من هو إذن ؟

لم تستطع "ماريا" قمع ابتسامة مرحة . هل هي بصدد منافسة قديمة قدم الدهر ؟

- "ميجيل " ابن عمي اعرفه منذ امد . إنه جزء من عائلتي . انفلتت من بين شفتيه تنهيدة تنم عن الرضا . اضاف بصوت خشن :

- وما معنى ذلك ؟ اتثقين به ببساطة ، لانه عضو من اعضاء عائلتك؟

- إني اثق به ، لاني اعرفه منذ امد ولاننا ننتمي إلى عائلة واحدة .

مثلك انت وجدك.

أجاب بابتسامة ساخرة :

- اخشى انني لم افهم ما قلته .

لم تجب واكتفت بملاحظة صفحة البحر من جديد، وهي تسال نفسها: إذا كان هو نفسه يعرف عما يتحدث . فمن الأفضل الا تلح على مسحة الغيرة التي اثبتها لتوه .

كم كانت مراقبة الحيتان عملاً يتطلب صبراً وحدساً . تناولت "ماريا" الساندوتش بسرعة ، ثم مالت نحو سياج السفينة وحواسها جميعها في حالة انتباه . لاحظت تيار ماء يمر ببطء ، ذلك من آثار الهواء الطفيف الذي يمر والمد ودرجة الحرارة . اصلحت من وضع النظارة المكبرة فوق عينيها ، ووجهت بصرها من جديد إلى الأفق وفجاة ، أطلقت صيحة ، لقد رأت على صفحة الماء انعكاس ضوء خفيف .

سالها "جاك" على الفور :

- ماذا هنالك ؟

- لا شيء ، لكني اعتقدت انه حوت .

- حوت ؟ هل انت متاكدة ؟

بدوره ، مسح الماء ببصره الثاقب.

همست :

- لست ادري ، لكني اعتقد ذلك .

خفض النظارة المكبرة .

قال وهو يبتعد عن سياج السفينة:

- ساشغل المحركات . يجب أن نحاول الاقتراب اكثر .

قالت أمرة:

- شغل المحركات ، دعها تدور خمس ثوان ، ثم اوقفها .

إذا كان "بواكيم" فسيعثر علينا .

تردد "چاك" .

- انت تمزحين ، اليس كذلك؟ أيعثر عليك الحوت ، لانه يعرف صوت محركك؟

كان يبدو عليه السخرية والتشكك ايضاً.

قالت في إصرار ضاحكة :

- افعل فقط ما قلته لك .

- حسنا يا رئيسة.

اختفى في كبينة القيادة وعاد بعد لحظات عندما صمتت المحركات .

قال وهو يلحق بها فوق السطح :

- ها قد فعلت ما امرت به . هل سيصل امامنا تماماً ؟

- ربما .

رمقته بنظرة تلمع بالحماس .

- انظر سيخرج بالتاكيد .

- أين ؟

اشارت "ماريا" بسبابتها إلى مكان محدد واقترب منها حتى يراه قبل ان ينظر في نظارته المكبرة.

مقتنعة برجاحة رايها ، ابتسمت السيدة الشابة.

- كيف تستطيعين بحق السماء معرفة مكان ظهور الحوت بينما لا تكونين متاكدة مما رأيت ؟

ضحكت :

- هذا صحيح ، لكن انتظر ..

- اشعر انني ضحية حيلة ، ماذا فعلت ؟ هل عينت حوتاً للقيام بتمثيل هذا المشهد امام رواد مركبك ؟

أجابت بجدية بدون ضحك:

- لا تكن سخيفاً . الحيتان لا تبيع نفسها ، إنها مجموعة من الغواصين المتنكرين في شكل حوت .

- إيه حسناً ، اريد ان ..

ظلت الجملة في حلقه . عبر نظارتيهما ، وثب حوت بشكل بديع على ارتفاع بضعة أمتار . وعندما سقط في الماء استقبلته نافورة ضخمة بيضاء لامعة.

- لا أستطيع تصديق ذلك ، هل هو حوتك ؟

- إنه يشبه حوتي على أية حال .

قال مبتسما:

- تباً ! هذا شيء لا يصدق .

ابتسمت "ماريا" بدورها . إن إعجابه قد تحرك مباشرة صوب قلبها .

- الأمر ليس غريبا إلى هذا الحد ، إنها مسالة خبرة و..

- خطا ! انا لا اعرف شخصا واحداً بطول هذه السواحل يستطيع التنبؤ بما شاهدناه منذ لحظات !

انفجرت ضاحكة :

- يبدو ان السيد المتشكك قد امن اخيراً ، إنه انتقام طيب يا سيد "مارلو" ، كان علي ان اراهن على عشرة دولارات .

www.elmanara.com

- هل تفضلين المال على الانتقام ؟ يالك من عقلية ربحية .

- هذا حتمي . إذا كان القراصنة يرفعون أعلامهم فوق مركبي ، فإن لي كل الحق في مشاركتهم بطريقة أو بأخرى .

أجاب وعيناه تلمعان بالمرح :

- فيما يخصني ، فهذا أمر مفروغ منه .

- إنني قد أنقذت سفينتي إذن !

- على أية حال ليست السفينة ما يهمني..

اتخذ وجهه مظهراً جاداً وغاصت عيناه في عينيها. أضاف وهو يقترب منها حتى لامس كتفها.

- لكن صاحبتها هي من تهمني على الإطلاق .. فانت ساحرة.

وبحنان بالغ رفع ذقنها ومال نحوها . كانت تود أن تعانقه ولكن دفعها حياؤها إلى أن تبعده عنها .

- لا تقولي مرة أخرى : إنك لا تريدين تقبيلي يا "ماريا سانتوس".

نعم كان هذا ما ستقوله تماماً .. ولكنها وقعت تحت تأثير مغناطيسي لا يقاوم ، أهدته شفتيها فقبلهما بنهم .

وبعد ثانية ، دون سابق إنذار ، تدفقت من المحيط نافورة بيضاء كبيرة . صاحت "ماريا" . وأخذ المركب يهتز تحت أقدامهما بينما ارتفع حوت يبلغ وزنه حوالي خمسين طناً في الهواء ، ونظر إليه في دهشة.

انفلت من بين شفتي "چاك" السباب ، وانكفأت "ماريا" من فوق السور لترى عمق الماء . ظهر رأس الحوت على بعد بضعة كيلومترات ، ثم ضرب الماء بذيله .

أمرته على الفور :

- شغل المحركات . ساشغل السماعة المائية .

تردد "چاك" وعيناه موجهتان صوب الحوت الذي ظهر من جديد، كما لو كان يدعوهما للعب معه .

تبادلت "ماريا" مع "چاك" نظرة تؤكد أنهما يعيشان لحظة ذات ثراء نادر وقد جعل عناقهما من هذه اللحظة لحظة ثمينة .

أخيرا قالت "ماريا" :

- هيا !

- تحت أمرك يا رئيسة.

كانت ستواجه الرغبة في أن تتعلق في عنقه وترد إليه قبلته المشتعلة وتذهب بعيداً .. حتى النهاية ، وإن كان لكن ولحسن الحظ، انقذها "بواكيم" .. وقتا قصيرا ..

الفصل الخامس

جرهما "بواكيم" خلفه في سلسلة من المشاهد الاستعراضية المثيرة كحال جده الشهير "موبي ديك" . لم يعد "جاك" يشك في مزاج هذا الحوت الاستعراضي . إنه يسبح بسرعة عشرين عقدة ، فوق سطح الماء مدة خمس دقائق ليدلهم على مكانه . والآن يسبح مركب "سبيريتوس" وراء اثر الحوت .

وقف "جاك" يتامل السيدة الشابة .

إن عينيها ملتصقتان بمعنى الكلمة في عدستي النظارة المكبرة، وهي تتابع تحركات صديقها العجيب . كان ضوء الشمس ورائحة الملح يشيعان حولهما جواً من الدفء ، كما انبعثت منها عذوبة خاصة وسحر انثوي خاص .

كانت بشرتها متوردة من الانفعال ، وشفتاها مشدوهتان، إنها تحمل

بداخلها عاطفة بدائية تسكن البحارة عندما يخرجون إلى الصيد في احضان المحيط اللانهائي .

صاح "جاك" ليعلو صوته على صوت المحركات :

- إلى أين يسحبنا ؟

خفضت النظارة المكبرة عن عينيها والتفتت نحوه .

- هناك جزيرة أمامنا ، جزيرة "كلاب البحر" "بواكيم" يحبها كثيراً.

- جزيرة "كلاب البحر" الاحتياطية ؟

- نعم .

- لكنها ليست احتياطية للحيتان . وإلا فماذا سيجد عليها ؟

لمعت عينا "ماريا" مثل بريق الشمس على صفحة الماء . في تلك اللحظة شعر "جاك" برغبة في أن يحتضنها . ضحكت:

- من يعرف ؟ لكني اراهنك على اي شيء تريده إنها تتبعنا في هذا الاتجاه .

- اي شيء أريده ؟

اشارت باصبعها ، وصاحت .

- انظر ! لقد قلت لك ! لقد ربحت يا "كابتن" .

كانت الجزيرة عبارة عن بعض الصخور البارزة وسط الماء ويمر بوسطها قناة ضيقة تفصل بين تلك الصخور . ابطا "جاك" سرعة المركب وانتظر أن تعطيه السيدة الشابة إرشادات عن طريقة الدوران حول الجزيرة . كان الحوت قد غاص في الماء على بعد بضعة أمتار منهما . حدق "جاك" في الماء ليراه يظهر من جديد.

- هناك عمق كاف في الناحية الأخرى من الجزيرة .

- هل أنت متأكدة ؟

- بكل تأكيد .

تقدم في حذر وهو يقود المركب بين الصخور المتباعدة المتراصة على جانبي القناة ، سأل نفسه : لماذا اختارت "ماريا" طريقا يمنعهما من متابعة طريق "بواكيم" ؟ عندما وصلا إلى نهاية القناة، وجدا مكانا مثاليا ومحمياً لقذف الهلب لكنه محجب عن رؤية ما يحيط بهما .

- هنا؟

أذعنت .

أوقف المحركات بينما خرجت "ماريا" فوق سطح المركب لتسقط الهلب . سكن "سبيريتوس".

في الهدوء الذي ساد فجاة ، حدق "جاك" في الماء ليرى "بواكيم" لكن يبدو انه قد اختفى .

- والآن يا رئيسة؟

- سياتي بالتاكيد عبر القناة ، مثلنا ثم يظهر هنا .

اشارت بحركة من ذقنها .

قطب "جاك" حاجبيه مقدراً عرض القناة الذي لايكاد يبلغ ثمانية أمتار.

- مستحيل . سيدور حول الجزيرة.

- ثق بي يا كابتن.

تمتم :

- اثق بك..

نظرت إليه ثم ابتسمت .

- لست مقتنعاً دائماً ، اليس كذلك ؟ حسناً ، في هذه الحالة... بدات في فك أزرار القميص "الفلانيل" تحت نظرات "جاك" الحائرة. تحته ، كانت ترتدي "تي شيرت" ابيض.

- ماذا تفعلين ؟

- على الطرف الآخر يوجد شاطئ صغير . من هناك ، سنرى منظراً جميلاً للقناة .

خلعت قميصها .

سالها :

- وكيف سنصل إلى هذا الشاطئ؟

انخفضت وسحبت حقيبتها المقاومة للبلل ودست فيها قميصها ثم بلوفر "جاك" . وبعد أن خلعت حذاءها ، نهضت .

سالها غير مصدق :

- هل تمزحين ؟ لسنا إلا في شهر مايو والماء مازال مثلجاً !

- غادر السفينة يا كابتن. هذا أمر .

وفي لمح البصر قفزت إلى الماء ومعها حقيبتها متذمراً. خلع "جاك" حذاءه بدوره ولحق بها في الماء .

افقدته صدمة المياه المثلجة انفاسه .

- إنك مجنونة تماماً . وانا لست احسن حالا منك .

- هل نتسابق ؟

- وكيف؟

كان هناك شاطئ صغير من الرمال الممتدة بين الصخور . وطات قدما "جاك" الشاطئ قبل "ماريا" بقليل. بيد أخذ الحقيبة ، وبالأخرى سحب

السيدة الشابة على الرمال الساخنة .

تركت نفسها لتسقط على الرمال بعد أن فقدت انفاسها . فعل مثلها ثم أطلق تنهيدة عميقة تنم عن الراحة .

- إيه ، حسناً يا "كابتن" ، هل تعبت من ملاحقة الحيتان؟

- ملاحقة الحيتان ؟ لقد فتنت بها لدرجة انني قفزت إلى الماء وكدت أن اغرق والآن انا متجمد بمعنى الكلمة . هل تسمين كل ذلك "ملاحقة الحيتان"؟

- الم افتنك انا؟

- بلى ، بالتاكيد ! وإلا ، فلماذا قفزت إلى الماء ؟

مالت برأسها جانبا ونظرت إليه باسمة .

- لتلاحق حوتاً .

التصق الـ"تي شيرت" المبتل بجسدها فابرز مفاتنها ، انفجر "چاك" في الضحك ليخفي اضطرابه.

- حوتاً ! وآخرين !

انتصبت ، وقد شعرت بالارتباك ، امسكت الحقيبة إلى جوارها .

- هل تريد "البلوفر" ؟

- كلا ، شكراً . هذا الماء مثلج لدرجة تشعرني انه بمجرد الخروج منه سيدب في جسدي الدفء .

فتحت الحقيبة . وقد ظهرت قشعريرة جلد ذراعيها البرنزي.

- انظر!

نهض "چاك" . لم يستطع ان يرى شيئاً محدداً لكن بعيداً ، كان هناك شيء في الماء .

فجاة ، انشق الماء عن ذيل ضخم.

قالت "ماريا" وهي تلمس ذراعها ببطء:

- سيقفز "بواكيم" . انظر إليه!

خلف الجزيرة تماماً ، ارتفع الحوت الضخم عن الماء . وجسده الهائل يتحدى كل قوانين الجاذبية قبل أن يسقط من جديد في المحيط محدثاً انفجاراً من الزبد الأبيض.

أمسكت السيدة الشابة ذراع "چاك" بيدها ، واطلق الاثنان صيحة إعجاب.

إنه لم ير في حياته مشهداً بهذا الجمال ، وهذا التاثير ، إنه لم يتخيل ذلك في يقظته ولا حتى في خياله لابد أن هذا الشعور يتخلل المرء عن طريق الغريزة ، العاطفة، هذا النوع من العواطف التي تسكن "ماريا" عندما تتحدث عن هذه المخلوقات . هذا النوع من العواطف التي لا يحددها أي منطق في العالم.

لقد شعر بهذه العواطف هو ايضا ، بينما ابتعد الحوت ، مخلفاً خلفه امواجاً تكسرت على شاطئهما الصغير.

مازالت يد "ماريا" ممسكة بذراع "چاك" . إنها ترتعش من البرد ومن التاثر ايضاً .

قال بصوت أجش:

- "ماريا" .

سالته عينا السيدة الشابة :

احتضنها وجذبها نحوه فوق الرمال الدافئة.

قبل شفتيها ، فاطلقت صيحة دهشة . إن شفتيها عذبتان وحلوتان

مثل العسل . بعكس وجنتيها وانفها المتجمد ، كانت شفتاها دافئتين وحلوتين مثل الفاكهة الناضجة تحت دفء الشمس.

غمرتها موجة من العاطفة ، قوية مثل تلك التي شعرا بها منذ لحظات عند مشاهدتهما الحوت ، فحملتهما إلى عناق حار.

كان "جاك" يود أن يثبت للسيدة الشابة أنها ملكه، وأنهما قد خلقا لبعضهما البعض حتى قبل أن يتلاقيا وأنها ستكون ملكه إلى الأبد . لم يكن لذلك أي معنى ، إلا أنه لم يكن للمنطق مكان مع رغبته البدائية في امتلاكها .

همس في أذنها :

- يا جنيتي الصغيرة ، إن ما تحدثينه بي من أثر لا يصدق .

استرخت تحت لمساته الحانية التي ملأتها دفئاً ونشوة.

- "ماريا"...

تردد ، ثم صمت . كان غير مجد طرح أية أسئلة ، إنها لم تتنبأ بكل ذلك ، ولم تستعد له ، ولم تتمن ..

شدد عناقه حولها .

همس :

- جنيتي الصغيرة . يجب أن أتعقل . سيكون أمراً سخيفاً أن يكون لنا طفل الآن .

فتحت عينيها ، مدركة قصد كلامه .

أجابت في توتر ظاهر :

- لم أكن لأترك الأمور تذهب بعيداً إلى هذا الحد .

لم يعجب "جاك" طريقتها في الإجابة أو على الأحرى طريقتها في

نظرتها إليه .

تخلصت من عناقه ونهضت . حاول إعادتها .

- "ماريا" ابقي معي . أحتاج إليك.

جلست ، لكن بعيداً عنه على الرمال ومازال التوتر باديا على ملامحها.

قالت في هدوء:

- أسفة يا "جاك" . ماكان يجب أن أسمح بذلك . ماكان يجب أن أصطحبك إلى هذا الشاطئ . كان يجب أن أتنبأ بأن ..

أضافت وهي تبتسم:

- كان يجب أن نبقى على ظهر المركب .

- إذا كنا بقينا فوق ظهر المركب ، كنا ....

قالت معترضة:

- إنها ليست مسألة أطفال . العودة إلى المركب لن تحل شيئا يا "جاك" لا أستطيع ممارسة الحب معك.

اقترب منها ومسح وجنتها في حنان بأصابعه المرتعشة.

همس بصوت متهدج :

- "ماريا" . عندما المسك ، أذوب مثلما يذوب الجليد تحت الشمس . ولا أعتقد أن هذا هو شعورك عندما يلمسك أي فرد .

- أنا ..

أحاط كتفيها بذراعه كما لو كان يريد إخضاعها تحت سيطرته .

- تبا! لا تستطيعين إنكار ذلك .

- أنا لا أنكر ذلك.

www.elromancia.com

بسماعه هذا الاعتراف ، ابتعد قليلاً عنها ، في الحقيقة ، إنه لا يريد إخضاعها ، إنه يريد منها شيئاً اكثر تعقيداً من ذلك ، اكثر صعوبة في الحصول عليه.

- هناك انجذاب بيننا يا "چاك" هذا حقيقي ولكن هذا غير كاف. قال وهو يربت كتفيها:

- ماذا تعرفين عن ذلك ؟ اسمحي لي ان اثبت لك العكس .

وضعت يدها فوق يد "چاك" لتوقفها:

- لا أعتقد انني بحاجة إلى برهان اخر.

- ما يحدث بيننا لا يستحق كل هذه السخرية يا "ماريا" . قولي "لا" إذا أردت ولكن ليس على هذا النحو.

رفعت رأسها وقد بدت عليها الحيرة.

- آسفة ، لكني قد قلت : "لا" بكل الطرق الممكنة.

- كلها إلا تلك الطريقة التي تبدو لي اكثر إقناعا.

توقف بصره على شفتيها اللتين مازالتا محتفظتين بمذاقهما العذب . رفعت عينيها ، فقرأ فيهما حساسية مرهفة ألمته . لم يرد أن يكون .. بارداً.

سألته :

- هل أتيت إلى هذا الشاطئ قبل ذلك.

- كلا .

أمسكت حفنة رمال ، وتركتها تتسرب من بين اصابعها .

- لقد كنت من ساكني منطقة ساحلية سياحية . هذا النوع الذي ياتي إليه البعض لقضاء مغامرات الحب القصيرة .

- هل كانت لك واحدة ؟

اعتقد انها لن تجيب . لكنها قالت :

- نعم ، مرة واحدة . وكانت كافية لادرك انني لم اخلق للحب. ومازلت كذلك.

- إذن ستصدينني ببساطة ؛ لأن احدا قد كسر قلبك عندما كنت في السادسة عشرة ؟ إنك لم تعودي مراهقة صغيرة يا "ماريا" . إنك امراة . وانا لست سائحاً.

- كلا ، لكنك لن تبقى هنا إلا الوقت الذي تتاكد فيه من كفاءتي لإدارة اسطول جدك.

- "ماريا"..

قاطعته:

- كلا ، وضعك سليم تماماً . إنه عملك ولك كامل الحق في التحقق من انني اقوم بعملي على وجه صحيح . هذا كل شيء . اما الباقي فلا داعي لكي يدخل في حسابنا . فلا يوجد بيننا قدر كاف من .. الثقة . لا يوجد أي ثقة على الإطلاق منذ البداية . انا آسفة .

- آه ! الثقة.

صوته الساخر جعلها ترفع راسها .

استطرد "چاك" :

- لقد عينك جدي . ولم يكن ليفعل ذلك مالم يجدك كفاة لتحمل هذه المسؤولية.

- لماذا لا تثق إذن باختياره ؟

- هذه ليست المشكلة ، تباً ! اردت ببساطة أن اتاكد من انه قد كف عن

العمل بشكل فعلي .

سالته بصوت متشكك:

- لانك قلق بشان صحته ، ربما ؟

- نعم . وهذا جزء من اهتمامي .

فحصت ملامح وجهه ، محاولة تفسير ما قد يكون يخفيه عنها .

أجابت بشيء من العدوانية:

- بالتاكيد فهو مازال مهتماً بعمله . وقلقاً دائماً بشان مراكبه . هل تتخيل انه سيعهد إليك بكل هذا ؟

- أنا لا أحاول الاستيلاء على عمله . ولا أحد يستطيع محاولة ذلك.

- لا أحد ؟

جاء صوتها مفعماً بالدهشة . إنها لم تتوقع منه سماع ذلك.

رددت :

- لا أحد ؟ إلى من تشير ؟ إليّ ؟ هل تتحدث عن الحوادث ؟

هل هو ذلك ؟ هل تعتقد أن احداً يفتعل هذه الحوادث. ليستولي على أعمال جدك؟ ولهذا جئت تحقق بنفسك؟

لم يجب .

سالت في إصرار:

- إنه ذلك ، اليس كذلك؟

- بلى . لقد حدث ذلك منذ ثماني سنوات ، خرب أحد الأسطول. لم يقبض على المسؤول أبداً ؛ لانه توقف عن التخريب بمجرد ان شعر بان هناك من يراقبه . لكن ، لم يجد "وايت" اهمية في أن يخبرك بهذا الأمر ، اليس كذلك؟ انا متاكد من ذلك .

تنفست بعمق ، اشارت "لا" براسها .

- لقد اثار جدي خلافات عديدة خلال السنوات الماضية.

ولا أحد يستاء من أن يراه يضعف . وإذا كان هناك من يريد الاستيلاء على أعمال جدي فسيكون مخطئاً إذا لم ينتهز هذه الفرصة.

سالته:

- هل تتحدث عن عمليات التخريب؟

أذعن:

استطردت:

- وأنت تحاول معرفة من لديهم النية في السطو على أسطول جدك.

إن نبرتها الهادئة الباردة لا تروق له :

- اسمعي .. ربما تكون سلسلة من الحوادث العادية ناتجة عن سوء الحظ . لكني لن اثق ببعض الاعتقادات .

- هذا واضح . فانت رجل اعمال بحق . فانت لا تثق بحدسك، وفطرتك ، او بجدك عندما يختار مديراً.

نهضت ببطء وبثقة ، ثم اتجهت نحو الماء .

نهض في وثبة وامسك ذراعها :

- "ماريا" ، من المستحيل الثقة باي شخص عند التحقيق في عملية تخريب . ماذا تريدينني أن افعل ؟ لا أستطيع إبلاغ الشرطة، سيصاب "وايت" بصدمة أخرى .لا أستطيع التحدث معه عن ذلك .

- ولا معي . هل تعتقد انني اخرب أسطول جدك ؟

تردد برهة :

تمتمت ببعض الكلمات البرتغالية ثم اشاحت بوجهها عنه .

www.elromancia.com

- "ماريا" ..

عندما دفعها للنظر إليه ، رأى عينيها وقد اغرورقتا بالدموع .

تركها مقتنعاً انه قد جرحها . لم يعد يشعر بالغضب . وإنما بالذنب .

وعندما انخفضت لتلتقط حقيبتها ، ودون أن تحاول اتهامه بشيء ، شعر "چاك" باضطراب داخلي . لم يكن ليعرف ماذا يحدث له؟ لكنه شعر أن شيئا ما ينتزع منه .

قال :

- ساعود على ظهر "سبيريتوس" وأعود لآخذك بمركب إنقاذ. نظرت إليه وعيناها مازالتا براقتين .

- لا يا "چاك" . انا فتاة كبيرة . واعرف السباحة .

نظر إليها نادما على اقتراحه وهي تغوص في الماء دون أن ينبس بكلمة .

كان عليه أن يشرح لها سبب مجيئه منذ البداية . لكن لم يكن له الخيار . كان حائراً بين جده وبين أسطول يبلغ ثمنه اكثر من نصف مليون دولار . إنه لا يستطيع أن يسمح لنفسه باي خطا في التقدير.

بعد أن أمسك بالحقيبة ، قذف بنفسه خلفها .

كانت المياه أقل برودة من الحقيقة التي تحتم عليه مجابهتها.

الفصل السادس

بعد يومين ، قام بتزويد "سبيريتوس" بنظام أمان . لقد وفى "چاك" بكلماته وبخلاف ذلك ، فقد بدا صامتاً تماماً.أما "ماريا" فقد وجدت صعوبة في مواجهة الوحدة والفراغ اللذين حلا محل الضحكات التي تقاسمتها مع "چاك مارلو"، لم يكن هناك ما يتحدثان عنه ، هذا ما فكرت فيه . إنه غير مدين لها باي تفسير عن تحقيقه ولم تساله هي عنه . ومن ناحية اخرى ، كان شعورها نحو "چاك" غير قابل للتغير حتى أمام تفسيرات مقنعة.

إنها تحتاج وترغب في قضاء بضعة ايام في احضان البحر على ظهر مركبها "سبيريتوس" . لكنها تعرف الأسباب الحقيقية وراء وجود "چاك" بينهم ويجب أن تمنحه مركبها حتى يستطيع إتمام مهمته . إنها تريده أن يجد الإجابات الشافية لشكوكه وان يترك المركب والبحر ويعود

www.elromancia.com

لحياته السابقة. وكلما كان ذلك سريعاً كان ذلك افضل . كلما فكرت فيه ، تذكرت انه هنا في تحقيق لصالح مكتب التامين . إنه لم يتعرف عليها لأسباب شخصية . إن لديه عملاً ينجزه .. وهي ايضا.

ولكن كانت بعض الصور تتلاحق بدون توقف على ذهن السيدة الشابة . صور عذبة ،ملحة . تلك الصور تطاردها دون هوادة حتى عندما تحاول أن تتلهى عنها بالعمل .

عندما دخلت بعد الظهر إلى مكتب "وايت" ، في المنزل الكبير لتحمل إليه تقريرها اليومي ، وجدته يلهو بنظارة "چاك" المكبرة القديمة.

انحشرت الكلمات في حلقها . إن هذا الشيء الذي يلهو به قد ذكرها بذكريات كثيرة . هل لاحظ "وايت" اضطرابها ؟

قال "وايت" مغتاظا:

- تفضلي إذن.

دخلت واغلقت الباب خلفها .

قال:

- إنها نظارة مكبرة قديمة . لا جدوى من أن تنظري إلي كانني فقدت عقلي . لقد تركها حفيدي هنا .

قالت في هدوء:

- اعرف جيداً ما هذا .

- إنها إهانة! إنه يعتقد انني غير قادر على أن أرى حتى نهاية الرصيف . واجبته بانه لا يحدث شيء على رصيفي دون أن اكون على علم به في الحال لحظة وقوعه.

- اعترف يا "وايت" بانه ليس هناك ما يدعو لهذا التاويل .

غمغم ثم استدار نحو النافذة.

- لقد رجع مركب "لودوفان" متاخراً .

- اعرف لم يتوقع "ميجيل" ان تكون الرياح بهذه القوة . لقد استغرقوا وقتاً طويلاً ليعودوا.

- لقد انتظرته شاحنة التوريدات .

- مرة أخرى ؟

- نعم !

نظر إليها "وايت" بطرف عينه .

- هل ابن عمك ضعيف إلى هذا الحد أمام قطع الشوكولاتة؟

منعها الارتباك - لحظات - من الإجابة .."ميجيل" ؟ سرعان ما تشكلت شكوكها لكنها تلاشت بنفس السرعة . كيف سيتصرف "چاك" إذا استمع إلى هذه المعلومة ؟ إنه مقتنع - بالفعل - بان تلك الحوادث المتتالية كانت اعمالاً تخريبية يقوم بها شخص سيئ النية يريد الاستيلاء على شركة "مارلو" .

- إن "ميجيل" معروف جيداً بحبه الحلوى . لابد انه قام بالسطو على مؤن المركب .

- على اية حال لقد وجد الحيتان . لقد شاهدها الجميع حتى حفيدي.

لوح بالنظارة المكبرة في اتجاهها .

- هل تعرفين ما قاله لي عندما أعطاني هذه الآلة القديمة ؟

قال لي ان الاحظ مركبك . لابد انه كان مقتنعا باحتمال اختفائه مع المد ما لم اراقبه . وقد ادخل نظام امان على "سبيريتوس" في وقت لا يذكر .

نظرت "ماريا" عبر النافذة . كان يلمع أمام مركبها صندوق صغير من المعدن الجديد.

بذلت مجهوداً لتتحكم في صوتها :

- إنه يقود "سبيريتوس" ومن الطبيعي أن يتخذ كل وسائل الأمان . إنه كابتن جيد .

- آه .. نعم .

- لابد أنك تعرف ذلك بما أنه كان يعمل لديك.

- لم يعد كذلك الآن .

ودت "ماريا" أن تخبره بأنه مخطئ ، وبأن "چاك" - بطريقة أو بأخرى - مازال يعمل لديه ، أراد ذلك أم لم يرد .

واعية بكل تلك الأشياء التي لم تستطع البوح بها ، أدارت عينيها عنه، إن شخصية "وايت" لا تسهل عليها الأمور .

- أثناء طلاقه ، كان على حفيدي أن يترك نصف شركة التامين التي يمتلكها لزوجته السابقة ، بعد خمس سنوات من إنشائها . هل أنت على علم بذلك؟

- كلا .

- إنه رابح ، وذكي ، وقاس في العمل . لكن كان ذلك درساً قاسياً له . لقد كسب من جديد كل الأموال التي فقدها ، ويزيد عنها . لكن ما يصطاده دائما يقذف به في الماء . إنه على هذا النحو مع الجميع ..

لم تفهم "ماريا" ماذا يقصد بذلك ، لكنها لم تصر على الفهم.

- كل ذلك لا يهمني يا سيد "وايت".

- لماذا ؟ هل القيت به على الباب ؟

- إن هذا هو ما لا يهمك.

عاد الرجل العجوز إلى مكانه ، والتفت نحو النافذة.

- أنت محقة بدون شك . ولكن ما يحزنني هو أنه ليس لي الحق حتى في الاهتمام بما يعنيني . لم يعد أمامي إذن سوى التفكير في حكايات الآخرين . ماذا تريدينني أن أفعل طوال النهار؟ أن ابقى هنا قعيداً ؟

- على أية حال ، أنت على علم بكل ما يحدث هنا .

- هناك شيء مازلت أجهله . ماذا أتى بحفيدي إلى هنا؟

أخذت ملامح "ماريا" مظهراً أكثر جدية . هذا العجوز يوحي لها بالشفقة . هي نفسها لم تتنبأ بسبب مجيء "چاك" .. لكن كان "وايت" على علم بالحوادث التي طرأت على الأسطول . هل يجد العلاقة ؟ أم أنه عنيد إلى هذا الحد الذي يجعله لايريد أن يفتح عينيه ؟

- لدى حفيدك استثمار جيد هنا.

- إن استثماره يسير بشكل جيد . هل يتصور أنني ساترك أعمالي تسير في مهب الريح؛ لأني سقطت مريضاً؟ مازلت غير مستعد للتسليم! لقد عينت مديراً ممتازأوكل شيء يسير على أتم وجه كما لو كنت أتولى الإدارة بنفسي . فلا يوجد موردون جدد ، أو حسابات جديدة أو موظفون جدد باستثناء تعيينه .. وأنت من قمت بذلك ولست أنا .

قالت :

- "سبيريتوس" مركبي . وإذا احتجت "كابتن" عينت واحداً

- وهل تدفعين تعويضاً عن الخسائر؟

- نعم ، إذا كانت هناك خسائر.

- هل تعتقدين أنك قوية بالقدر الكافي ؟

- أنا قوية بالقدر الذي يتطلبه أي موقف يا "وايت".

- مع حفيدي ، لن تكوني قوية بالقدر الكافي . أعرف ذلك.

تحول غضب "ماريا" إلى دهشة واغرورقت عيناها بالدموع.

تعبر كلمات "وايت" القاسية عن انه نفسه قد جرح بعمق بما اعتقد انه خيانة من قبل "چاك" . هل يحاول تحذيرها، ويمنعها من أن تكون مرهفة الحس؟

أغلقت عينيها برهة، اعتراها هذا الألم الملح في حلقها. ليست الأفعال هي ما يصعب التغلب عليها إنما العواطف ، والمشاعر التي تهددهم جميعاً أكثر مما تستطيع أي قوة خارجية أن تهدد الأسطول .

قالت في هدوء :

- بعكس ما تفكر فيه ،أعتقد أن "چاك" في صفك.

- ستثقين به إذن ، أليس كذلك.

بحركة ساخرة ، قذف النظارة المكبرة على المقعد في الجانب الآخر من الحجرة . تدحرجت على الوسادة وتوقفت عند حافة المقعد.

عبرت "ماريا" الحجرة والتقطت النظارة . إن "چاك" يقوم بالتحقيق في احتمال وجود عملية تخريب . كانت هذه الفكرة تؤرقها، إنها مديرة الأسطول وفي هذه الحالة يجب أن توافيه بتقرير صحيح عن كل ما تعرفه .

- لو لم ترد هذه النظارة ، فساعيدها إليه .

صاح وهي تخرج:

- فكرة ممتازة ، أخبريه أنني لست أعمى !

صعدت "ماريا" السلم ، وسارت بطول الردهة . كانت السيدة الشابة

تعرف أين توجد حجرة "چاك". إنها نفس الغرفة التي كان يشغلها عندما كان صغيراً ، إنها في نهاية الردهة .

لقد شرح لها - ببعض المرارة - أن ذلك كان عن قصد ، حتى يستطيع جده مراقبة كل حركاته في الذهاب والعودة.

فكرت "ماريا" : إن الثقة عملة نادرة لدى آل "مارلو".

وصلت أمام الباب ، طرقت عدة مرات ثم انتظرت. فتح "چاك" ، كان مظهره يحاكي مظهر رجل أعمال في عطلة نهاية الأسبوع . كان يرتدي بنطلونا "بيج" وقميصاً أبيض . وجهه أكثر سمرة من لحظة مجيئه منذ بضع أيام، مما أبرز زرقة عينيه.

وقف ينظر إليها مستندا إلى الحائط .

إن اعتقاده إمكان إقامة علاقة عمل جافة مع هذه المرأة قد راح أدراج الرياح .. خيم صمت ثقيل على وجودهما .

بات واضحاً أنه لم يتوقع رؤيتها عند باب غرفته .

قالت أخيراً بضحكة عصبية:

- صباح الخير . آسفة لإزعاجك على هذا النحو يا "كابتن".

هل كان علي طلب موعد ؟

ابتسم ابتسامة ساخرة.

- كلا ، لم يكن ذلك ليحدث فرقا . منذ ثلاثة أيام تخيلتك مرتدية "تي شيرت" مبتلا . لقد دهشت لرؤيتك في مظهر يختلف مع مظهرك في أحلامي .

جاهدت "ماريا" حتى لا يحمر وجهها إلا أن الصورة التي ذكرها بها جعلتها تجتر تلك الذكريات اللذيذة.

قال مبتسماً:

- همم .. آسف .

بسطت إليه "ماريا" النظارة المكبرة.

قالت :

- لقد تركت هذه في مكتب "وايت" . ويخبرك بانه ليس اعمى .

أمسك "چاك" النظارة المكبرة :

- لقد طلبت منه أن يلقي نظرة على "سبيريتوس".

- نعم ، لقد حدثني عن ذلك . وفقاً لحديثه ، لا يحدث شيء على الرصيف دون ان يعلم به . هذا - على الاقل - ما قاله لي. عندما قال لي ذلك ، لم يراع اي دبلوماسية.

- اتخيل ذلك . اعترف بانه ليس سهلاً دائماً.

- هذا اقل ما يقال ، اتمنى الا تكوني قد اخبرته بسبب وجودي هنا .

- لا على اية حال ، سيرفض تصديق ان شيئاً يحدث دون علمه. - إنها مسالة شرف بالنسبة له . إنه يفضل أن يتنازل عن مراكبه على طبق من فضة على ان يعترف باقل ضعف .

- نعم ، اعتقد انك محق . إنه يرفض الإذعان بانه لم يعد له سيطرة كاملة على اعماله . ولكن إذا كان هذا الأسطول معرضاً فعلاً للخطر ، يجب أن يعرف ذلك.

- لن يصدق . إنه مقتنع بان كل موظفيه جديرون بالثقة.

- انا ايضاً ، مقتنعة بذلك.

- وماذا لو كنت مخطئة ؟ ستكون الصدمة مؤلمة يا "ماريا".

- ساخذ إذن الاحتياطات اللازمة . وجدك ايضاً . لا تقلق كثيراً يا "چاك".

مرر يده في شعره الأشقر الكثيف.

- لست مجبرة على البقاء واقفة امام هذا الباب يا "ماريا" ادخلي واجلسي .

لاحظت صواناً خلفه وسريراً لفرد واحد ورفوفا حتى السقف مملوءة بالكتب التي جمعها عبر السنين ، كان هذا شاهداًعلى طفولة احيت فضولها .

وعلى الرغم من ذلك قالت :

- كلاً . شكراً . كنت جالسة طوال اليوم اهتم بالحسابات .

فتح الباب على مصراعيه.

- ادخلي إذن وابقي واقفة . القي نظرة على اشيائي.

ابتسمت رغماً عنها :

- كلا ، لا اعتقد انها فكرة طيبة.

- لم لا ؟

لم لا ؟ لانها غاضبة .. لانها لا تستطيع ان تغفر له كذبه .. لانها محته من ذاكرتها ولم تعد تفكر فيه منذ عدة ايام..

لا شيء من ذلك صحيح . ولا شيء من هذا يفسر خفقات قلبها المتصارعة.

- لاني إذا قبلت التواجد معك ، فساجد نفسي على شاطئ مهجور اخر ، مرتدية "تي شيرت" مبتلاً.

- هل الأمر بهذا السوء ؟ "ماريا" ، لا استطيع الصعود على ظهر "سبيريتوس" دون ان افكر فيك . لا استطيع التحدث إلى الزبائن قبل ان اطردك من ذهني . عندما ارى حوتك الملعون، اشعر انه يحملق في ويسالني عنك ، هل اصبحت مجرد ذكرى عابرة في ذاكرتك؟

- "بواكيم" على حق . سيستمر في رؤيتي . وانت لن تكون سوى...

كانت تبحث عن كلمة محددة.

وضع "چاك" يده الدافئة فوق ذراعها.

- اريد ان اقول لك على الاخص : إنني قد تعرفت عليك في ظروف

حساسة وأود أن أبدأ معك من الصفر.

كان عرضه مؤثراً، لكنها كانت حائرة بين "چاك" و"وايت"، وعملها وطموحاتها الشخصية. هدفها ونقطة بدايتها.

نظرت إلى يده لكنها لم تقم باي حركة لتبعدها.

- لم آت إلى هنا لأرد إليك النظارة المكبرة فقط. هناك شيء آخر.. جدك راقب الرصيف ولاحظ أن الموردين ياتون مرات عديدة على غير عادتهم خاصة فوق ظهر مركب "لودوفان".

- مركب ابن عمك "ميجيل"؟

- نعم.

ترك ذراعها وتنهد.

- هل تعتقدين أن..

- لا أعتقد شيئا على الإطلاق، وخاصة أن "ميجيل" ليس لديه ادنى علاقة بحكاية عمليات التخريب. إذا كان هناك تخريب. لا أريد أن اظهر بمظهر من تخفي المعلومات على أية حال.. أنا واحدة من المشكوك في أمرهم.

تلفظ بالسباب:

- أنت لست مشكوكا في أمرك. أعرف انك لا تخربين أسطول "مارلو".

- آه، نعم؟ وكيف تعرف ذلك؟ بالفطرة؟

بدا عليه التذمر.

لم تستطع "ماريا" أن تمنع نفسها من الابتسام أمام غنى مفرداته بالفاظ السباب، واستدارت لتخرج.

- ليس لي الخيار يا "ماريا" آسف، لم أرد الكذب عليك لكني لا أستطيع الكشف عن التحقيق الذي أجريه. يجب أن تفهمي ذلك.

كان صوته يعبر عن الصدق. استدارت دهشة.

- افهم ذلك. أؤكد لك أني مدركة ذلك.

ثم خرجت.

لم يجبها، لكنها شعرت بانه يتبعها ببصره حتى نهاية الردهة.

###

بعد مرور ساعتين، وقف "چاك" في نافذة الغرفة، راح ببصره بعيداً. كان البحر يعلو وينخفض وهو لا يستطيع أن يطرد من ذهنه صورة "ماريا" وهي ممددة على الشاطئ المشمس لجزيرة "كلاب البحر". إنه يحاول نسيانها منذ ثلاثة أيام لكن دون جدوى.

هذا ظاهر، إنها لا تريده. وللأسف لا يستطيع لومها ليس لديه ما يقدمه لها. وهي تعرف ذلك.

هو أيضا يعرف ذلك ولهذا السبب لم ينبس بكلمة عندما مضت مكتفياً بمتابعتها ببصره. لقد منحته "ماريا" ثقتها، ووفاءها وعاطفة امراة لا تكبح مشاعرها بإخضاعها للتامين ضد الأخطار.

لقد خان هذه الثقة، وتسبب في جرحها دون قصد. كيف تستطيع أن تقترب منه من جديد دون أن ترتاب؟

فجاة، أعادته إلى أرض الواقع خطوات رشيقة لرجل ينزل إلى الرصيف. إنه "ميجيل دورو". كون رقم الأمان لمركبه "لودوفان" وقفز على ظهر المركب.

ليس في وجوده أي شيء غير طبيعي، قائدو أسطول "مارلو" يقومون بجولات إضافية احتساباً لوجود زائرين في غير الأوقات العادية، كان "چاك" يستفيد ايضا من ذلك ليقابل معظم القادة حتى يطرح عليهم أسئلة خاصة بتحقيقه، لكنه لم يجد الفرصة ليلتقي بـ"دورو".

صباح يوم الجمعة،كان "ميجيل" يرتدي چينزا" وبلوفر" ويبدو أنه لن يمكث طويلاً فوق ظهر مركبه. إذا كان يريد "چاك" التحدث معه فعليه

بالإسراع . اخذ "جاك" "بلوفر" وخرج من غرفته في الخارج ، كانت الرياح شديدة . وتصاعدت بعض قطرات الماء فوق ظهر المركب.

كان الباب مفتوحاً والمصباح مضاء.

صاح "جاك" :

- "ميجيل".

ظهر رأس "ميجيل" .

ساله " ميجيل "بصوت ودود:

- اهلا ! هل تريد شيئاً؟

أجاب "جاك":

- نعم . لم يعد هناك قهوة في "سبيريتوس" . هل تستطيع ان تعيرني بعضاً منها؟

كان هذا هو أول شيء يطرأ على ذهنه.

- بالتاكيد ! تعال ، ادخل . لقد جاء المورد منذ قليل. الم يسلمك قهوة في "سبيريتوس"؟

في الركن الخاص بالطعام كان هناك العديد من أكياس القهوة وتموين ضخم من لبن البودرة.

فكر "جاك" في سخرية " : هذا التموين يكفي عدة شهور".

أجاب :

- نسيت أن أطلب ذلك . يجب على المرء تذكر العديد من الأشياء على ظهر هذه المراكب.

- هذا صحيح .

- يبدو أن المورد لا يحترم نظاماً في التسليم . اعتقد ان من المفترض أن ياتي يوم الخميس.

- نعم ، لكن يمر السائق من وقت لآخر حتى يعرف إذا كنا نحتاج

لشيء .

- هل نحتاج لأشياء كثيرة في اغلب الأوقات؟

رفع "ميجيل" كتفيه.

- الرجل الذي يدير الشركة الخاصة بالتموين ، رجل طموح ويريد زيادة مبيعاته.

لم يقتنع هذا التفسير إلى المنطق وتصرفات "ميجيل" لم تسمح باي شك.

اخذ "جاك" القهوة.

- شكراً يا عزيزي . إنني سعيد لأني وجدتك في الوقت المناسب.

- كان بوسعك ان تسال "ماريا".

ابتسم "جاك":

- نعم ، لكن كان علي أن افسر لها انني نسيت تقديم طلب . ولا اعتقد ان ذلك سيعطيها انطباعاً جيداً عني .

بدت الدهشة على وجه "ميجيل".

- هل يهمك انطباعها عنك؟

حيرت نبرة صوته "جاك" ، لكنه تغلب على ذلك بسرعة.

- إنها الرئيسة.

اغلق "ميجيل" قفل دولاب المشروبات.

قال:

- إنها ابنة عمي ايضا . لقد كبرنا معاً .

- لقد اخبرتني بذلك في اليوم الآخر .

- لدي موعد هذا المساء مع خطيبتي "لوسي بيريرا" ولا اود أن اجعلها تنتظر.

- هذا عين الحكمة . لا يجب ابداً أن تترك النساء ينتظرن .

- لا أعرف شيئا عن الأخريات . إني أتحدث عن امراتي على الأخص ، المرأة هي الحياة . هذا هو كل ما يحتاج إليه الرجل .

لم يسمع "چاك" قبل ذلك هذا التعبير لكنه يبدو كالأمثال، كما يعيد إلى الذاكرة صوراً من عالم آخر.

يعود الرجل ، بعد يوم طويل في البحر ، إلى منزله ، لدى زوجته الودود التي تجعل حياته بسمة حتى لو كان الصيد سيئاً، والجو غير محتمل ، والبحر ثائراً والمد عالياً كما هو الحال هذه الليلة. إنها امرأة . امرأة واحدة.

فكر "چاك" إيه، نعم يا "مارلو" . أما انت فالأمر بالنسبة لك: رجل ، امـــرأة ، وطلاق" . منذ زمن طويل لم يعـــد يفكر في حب يدوم دوام الحياة.

نظر إليه "ميجيل" دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

قال "چاك" بصوت مفعم بالمرارة:

- إنه هدف يستحق الإعجاب.

- في عائلتي ، الأمر ليس هدفاً واحداً . لقد تحدثت "ماريا" معك عن ذلك بدون شك.

- لم تتحدث عن عائلتها .

- آه . إن عائلتنا كبيرة جداً . ثلاثة إخوة وخمسةاولاد عم.

ابتسم "چاك" في مكر.

- يمكنك أن تطمئنهم وتقول لهم : إنني لا اغازل "ماريا" فانا اقود مركبها فقط .

اذعن "ميجيل" بينما خرج "چاك".

ثلاثة إخوة وخمسة أو لاد عم! شعر انه يمشي فوق مياه مليئة باسماك القرش التي تدور حول الجميلة "ماريا سانتوس" لحمايتها.

ازدادت غزارة الأمطار الآن . وحتى لا يثير شك "ميجيل" ذهب ليضع القهوة في "سبيريتوس" . من ناحية أخرى ، كانت الأنوار مضاءة ، إن "ماريا" مازالت مستيقظة بدون شك.

يستطيع أيضاً أن ياخذ القهوة إلى المنزل حتى الغد ، إلا انه وجد قدميه تسوقانه إلى "سبيريتوس".

فتحت له "ماريا" باب الكبينة مرتدية ثوب النوم.

-"چاك"؟

قال بعد تردد:

- نعم . لدي شيء أسلمه إليك.

مد يده بالكيس.

- لكن لا يعوزنا قهوة.

- أعرف.

رجعت إلى الخلف لتدعه يدخل .

كانت الكبينة مضاءة بنور ذهبي يبعث الدفء .

- كنت بحاجة إلى .. حجة لاتحدث مع "ميجيل" . أول شيء بدر بذهني هو أن اقترض منه بعض القهوة .

بدا على وجه السيدة الشابة انفعالات غير مفهومة.

قالت في هدوء:

- أوه .. نعم فهمت .

- لم أجد حلاً آخر إلا أن آتي وأسلمها.

ابتسمت في مرح.

- لا أعتقد أن "ميجيل سيسالني عن ذلك ، لكن إذا تحدث إلي فساخبره انني تسلمت منك القهوة.

- إذا أردت يمكنني أن اقذف بالقهوة الموجودة على المركب في البحر.

وبذلك لن تكذبي عليه.

- لا أعتقد أنه من الضروري أن تلوث الميناء يا "كابتن" "مارلو".

ساعطيها "بواكيم" غدا.

- "بواكيم"؟

- نعم . إن جرعة كبيرة من الكافيين لها عظيم الاثر على الحيتان، مما ينعكس على زبائننا . تحت تاثيرها قد يغني الحوت مثل نجوم الروك!

- إذا كان الحال كذلك فلا تنسي تسجيل هذه المعلومة!

ضحك.

- لن يفوتني ذلك . لكن اشعر أن "بواكيم" لا يريد الغناء لي . إنه لا يغني إلا للكابتن الحقيقي.

تورد وجهها وخفضت عينيها .

سالته:

- هل عرفت شيئاً خلال حديثك مع "ميجيل"؟

- نعم عرفت أن لديك ثلاثة إخوة وخمسة اولاد عم . وهم يقابلون بدون رحمة من يتجرأ ويحاول إغواء سيدة من ال "سانتوس".

ابتسمت :

- أوه ! أنا لا اظن انك تخاطر باي شيء ، تسليم القهوة لا يعتبر شروعاً في الإغواء .

عاد إلى جديته.

- إغـواء ، لست ادري يا "ماريا" .. على اية حـال ، لا اريد أن اتركك ابدا.

ارتبكت السيدة الشابة تحت تاثير نظرة عينيه الزرقاوين الداكنتين.

نعم ، كم تريده أن يلمسها من جديد! . لقد عادت إلى ذهنها صور الشاطئ وودت أن ياخذها بين ذراعيه ويحبها بشغف ..

لكنها عقدت ذراعيها فوق صدرها .

قالت :

- لا يا "جاك" . لن يحدث ذلك.

لكن افتقد صوتها إلى الثقة.

سالها :

- لأنك لا تريدين ذلك.

- إن ما اريده هو ..

بحثت عن الكلمات ثم استطردت :

- هو أن تنهي هذا التحقيق ، وأن تتاكد أن أحدا لايريد إيذاء شركتك وأن تعود إلى مكتب التامين الخاص بك تاركاً كل شيء كما وجدته : الأسطول ، طاقم العمل ، وعملي . هذا هو ما اريده.

- نعم .. لكن الحياة مليئة بالمفاجات.

- تقصد الخيانة وعمليات التخريب ..

- ربما أكون انا من ستفاجئه الحياة ، تبدو هذه الحوادث ، حوادث ناجمة عن المصادفة . لا وجود للجرائم ولا الأعداء.

- هل ستكون هذه مفاجاة يا "جاك" ؟ الا يكون هناك أعداء..

- ربما ساكون قادراً على قبول هذه الاحتمالات . لقد كانت هناك مفاجات أخرى منذ مجيئي.

لقد كانت هناك مفاجات بالنسبة لها ايضاً.

محاولة أن تهدئ خفقات قلبها المتصارعة ، نظرت إلى مكان آخر . لم يقنعها "جاك" بمظهره البارد، الساخر.

- كثيرا ما يقترب "بواكيم" من مركبك.

- أعرف .

- أعتقد أنه يعرف صوت محركك.

- نعم . لقد قلت لك ذلك.

- هذا صحيح ، لكني مقتنع بانه ياتي لأجلك وليس لأجل المركب.

ابتسمت.

- وإذا كان ياتي من أجلك؟

- آه ! هذا إذن ! إنه ينتظر ان يمزقني "ميجيل" واولاد عمك ويلقوا بي في البحر . لقد ظننت انك نفسك ستغضبين عندما ترينني هنا وتلقين بي بنفسك إلى البحر .

أجابت بهدوء :

- لا . لست غاضبة إلى هذا الحد . إني .. إني غاضبة ؛ لانني من اسرة تعد الثقة شيئا مكتسبا ومؤكدا. لست موهوبة . في الدبلوماسية . انت محق بدون شك ، إني ساذجة . ولا اعتقد ان بعض الحوادث تدعو للشك في أن هناك عمليات تخريب ، لا أستطيع أن اتخيل ان "ميجيل" يستطيع خيانة الرجل الذي يعمل لديه ، ومن ناحية اخرى لم اكن لأعرف انك جئت لتجري هذا التحقيق.

- هذا هو خطؤك يا "ماريا" ، انك اوليتني ثقتك. إنك تمنحين ثقتك بسهولة بالغة . كان علي ان اتصور انك تعلمت ذلك اثناء عملك مع جدي.

رفعت ذقنها في تحد .

- كلا . هل أكسبك طلاقك هذا الطابع الساخر؟ الم تستطع الثقة بزوجتك؟

في البداية ، اعتقدت انه لن يجيبها ، لكنه فعل .

ضحك :

- شيء كهذا . كانت تهتم بحسابات الشركة . للاسف ، لم اتحمل عناء مراجعة الأرقام خلفها حتى بعد ان تبينت ان زواجنا مهدد

بالانهيار .لقد كنت مخطئاً . قال لي جدي ذلك مراراً.

- اخطا جدك عندما قال لك ذلك . بان قال لك الا تثق باحد . وانت اخطات بان صدقته .

ازدادت سرعة الرياح إلى حد العاصفة.

- لا اعتقد ذلك . لقد حاول ان يفهمني بان كل العلاقات بين البشر قائمة على المصالح الشخصية.

طاف ببصره في الكبينة قبل ان يعاود النظر إليها .

- لست من هؤلاء الذين يستمعون إلى اغنيات الحيتان . لا تتوهمي عني افكارا يا "ماريا" .

غاصت عيناه الزرقاوان في عينيها . غلفهما تطور محسوس ، ترددت "ماريا" ، هل عليها ان تقترب منه وتلمسه ؟ أو ان تنتظره حتى يقترب منها ؟

فجاة ، اهتز سطح السفينة تحت اقدامهما ودوى صوت عالٍ في سكون الليل . اعادها إلى ارض الواقع ، عرفت "ماريا" ماذا حدث، لقد ارتطمت مقدمة سفينة بمؤخرة "سبيريتوس".

الفصل السابع

عندما توقف المركب عن التارجح ، وجدت "ماريا" نفسها على الركن الآخر من الكبينة. حاولت أن تفتح الباب ، ولكن ارتطم الباب بالحائط فدفع "ماريا" إلى السطح المبتل.

صاح "چاك" خلفها :

- "ماريا".

أمسكها من كتفها مزمجراً . لقد دفعت مقدمة المركب "لودوفان" "سبيريتوس" إلى الرصيف . كيف حدث ذلك ؟ لقد انحلت الحبال وسقطت في الماء المتلاطم . هل انحلت الحبال نتيجة إهمال أم بفعل فاعل؟

ارتطم "لودوفان" - مدفوعا بالرياح والأمواج - بهيكل "سبيريتوس" وانجرف بفعل المد العالي في الميناء مهددا بالإضرار بمراكب أخرى .

قفزت "ماريا" إلى الرصيف ، يجب وقف تقدم "لودوفان" باي شكل.

قال "چاك" وهو يلحق بها :

- سأذهب إلى مركز القيادة في الميناء ، يلزمنا مساعدة .

- سيكون الأمر متاخراً جداً.

حاولت "ماريا" أن تصعد إلى سطح "لودوفان".

- "ماريا" ، انت مجنونة تماماً.

عندما وصلت بالفعل إلى سطح "لودوفان" ، استطاعت أن ترى نظرة "چاك" الغاضبة المعلقة عليها .

حيته بيدها وجرت إلى مؤخرة السفينة . لحسن الحظ كان هناك حبل على ظهر المركب .

وبحركة سريعة تنم عن خبرة كبيرة ، ربطت أحد طرفي الحبل في المركب وجذبت الباقي على السطح ، كان ثقيلاً قذفت به في الماء .

فهم "چاك" ما هي مقدمة عليه . وصاح:

- اقتربي أكثر .

انفك الحبل وجذبها بعيداً . وارتطمت "لودوفان بـ"سبيريتوس" من جديد . أوشكت "ماريا" على أن تبكي .

قفز "چاك" إلى الماء على الفور.

صاحت السيدة الشابة:

- شكراً يا "چاك" ، الحمد لله.

صعد إلى سطح "لودوفان" ، ثم ربط الحبل في السفينة قبل أن يقفز على الرصيف ليربط طرفه الآخر في حلقة من حلقات الرصيف.

عندما ذهبت "ماريا" لتلحق به ، نظر إليها "چاك" وشعره الأشقر ملتصق بجبهته . من نظرته ، أدركت أنه غاضب .

- شكراً لك يا "چاك" .

- لكن تباً ! ماذا دهاك! كدت تسقطين في الماء ! وماذا لو حاصرتك

السفينتان بينهما ؟

- مستحيل ، فانت هنا كنت ستمنع ذلك.

- كيف عرفت ذلك؟ إنك لم تنظري خلفك.

رفعت عينيها إلى السماء دهشة من رد فعله .

- كانت ستتحرك "لودوفان" إلى وسط الميناء تماماً ما لم أحاول ربطها . على اية حال ، فهي آمنة الآن.

- هل علي أن أدين لك بهذا ؟

- لا ، انا المدينة لك بهذا، إنني المسؤولة عن هذا الأسطول ولن افقد سفينة بسبب إهمال غير مبرر .

- هل تعتقدين انه كذلك ؟ إهمال خالص ؟

لم تجب .

- من هنا لا يعرف عمل عقدة بحرية لا تنحل ؟ عضو من الطاقم "ميجيل"؟

ارتعشت "ماريا" من البرد .

- الرياح شديدة ، والمد عال . ثم إن ..

كانت كلماتها تفتقر إلى الإقناع ، لاحظت ذلك ولم تتم عبارتها نظرت إلى "لودوفان" وشفتاها مضمومتان.

سالها :

- هل هذه حادثة؟

انبعث من صوته سخرية جعلتها تلتفت إليه . استطرد:

- يا إلهي . انت لست ساذجة لدرجة انك تعتقدين أن الأمر لا يتعدى حادثة بسيطة . لكن اثبتي بعض التعقل في حكمك .

رفعت كتفيها في ضيق .

- ما الذي يدفعك لتعتقد أن احدا حاول إلحاق ضرر بـ"لودوفان"؟ ثم

الم تقل :إن المراكب مؤمن عليها ؟

- نعم المراكب مؤمن عليها بالفعل ولكن ليست سمعة أسطول "مارلو". لن تكون العواقب حميدة إذا علم الناس اننا قد فقدنا سفينة بسبب الإهمال او بسبب المد العالي او الرياح الشديدة.

كانت حججه غير قابلة للمناقشة وكانت "ماريا" واعية بها تماماً. في ليلة كهذه ، من غير المعقول ان يربط احد أعضاء الطاقم "لودوفان" على هذا النحو ، وبهذا الإهمال . كان من الصعب ايضاً تصديق ان "ميجيل" لم يلاحظ هذا الإهمال عندما غادر سطح السفينة . لابد ان شخصا ذكيا يقظا ، قد قام بذلك ليصل إلى أهدافه . إن "جاك" "مارلو" على حق تماماً.

هل السخرية والشك معديان؟

في هذه الحالة ، يجب ان تكون سعيداً ، لأني انقذت سمعة أسطول "مارلو".

امسك "جاك" بكتفها :

- هذا الأسطول ليس في حاجة إلى أن تخاطري بحياتك من أجله ، هل تفهمين ذلك؟

اصابتها الحيرة بسبب غضبه الزائد ، حملقت إليه . انتهى بأن حررها من عناقه دون أن يدعها تمضي .

لقد اهتممت بالمراكب طوال حياتي يا "جاك" . واعرف ما أستطيع القيام به ولا أخاطر بحياتي .

- انت تتعلقين بهذا الهيكل كلاعبي الأكروبات ، هل تعتقدين انك في السيرك ؟ كان من الممكن أن تتحطمي بفعل الرياح القوية.

- لكني كنت أعرف انك هنا . ولا شيء يمكن أن يحدث لي .

سرى بينهما تيار لا تفسير له . ما الكلمات التي تستطيع وصف ما يشعران به؟.. كان عليهما إيجاد طريقة يعبران بها عن عواطفهما .

اغلقت "ماريا" عينيها ثم قالت :

- يجب أن أذهب لألقي نظرة على باقي السفن.

اذعن وتركها آخيراً تمضي.

قال :

- سأذهب لأتحدث مع جدي .

في صلابة ، اتجه صوب المنزل وابتعد . تبعته بعينيها وقد نسيت قدميها المتجمدتين وملابسها المبتلة وحتى السفينتين المهددتين .

لم يلتفت خلفه وعلى الرغم من ذلك ايقنت "ماريا" . ان ما يكنه لها شيء آخر غير الغضب . مالم يكن كل ذلك من وحي خيالها . خيالها الذي اصبح حساساً منذ ان ذهبت مع "جاك" إلى شاطئ جزيرة "كلاب البحر".

ركز "جاك" في خطواته ويداه موضوعتان في جيبيه . عندما امسك كتفيها شعر برغبة جامحة في ان يقبلها . ياله من اناني ! منذ ان قابلها لايهمه سوى احتياجاته الخاصة ، ورغباته . منذ قليل عنفها بدلا من ان يحدثها بلطف . ومما يثير فضوله انها لم تقابل عصبيته بالغضب .

قالت : كنت أعرف انك هنا .

تلك الكلمات ، إنها كلمات الثقة ...

إن لهذه المرأة سيطرة عليه تجهلها . تلك البراءة ، والحكمة، والثقة تشعره بانه شخص شرير وساخر . إن الوجود إلى جوارها يعذبه . لكن بعيداً عنها كان الأمر أكثر سوءاً.

إن "ماريا سانتوس" تثير جنونه.

دخل المنزل غاضباً من نفسه ، وترك الباب يخبط خلفه . ثم توقف مكانه . كان المنزل مظلماً وساكناً ، من الظاهر ان الجميع نائمون . كان يريد من جده أن يترك "ماريا" تواجه مشكلات الأسطول بمفردها .. ولكن

فيم يفكر؟

لقد عينت السيدة الشابة لهذا الغرض : مواجهة المشكلات. وإيجاد حلول لها .

إن هذا هو عمل "ماريا" إن راق هذا لـ"جاك مارلو" ام لا. تنهد في عمق.

إذا كان قد جاء إلى المنزل في قلب الليل ليقول لـ"وايت" : أن يبلغ الشرطة فهو مخطئ ، فقط "ماريا سانتوس" هي من تستطيع ذلك ومن يجب عليها ذلك.

خلع سترته المبتلة متزمرا ولبس اول سترة وجدها في صوان الملابس . ثم خرج من جديد.

كان الرصيف خالياً والمراكب مربوطة . وتوقف المطر . صعد "جاك" إلى سطح "الباتروس" ، ليتحقق من أن كل شيء في مكانه وفعل نفس الشيء في كل المراكب قبل أن يصل إلى "سبيريتوس". كانت الكبينة غارقة في الظلام . بدت السفينة كالأخريات خالية ومربوطة بإحكام . ربما عادت "ماريا" إلى المنزل لتتناول بعض القهوة او لتاخذ حماماً ، خاب امله ولكنه حدث نفسه بان ذلك افضل . إذا تواجد بمفرده معها ، فالله وحده يعلم ما الذي كان سيحدث .. هذه المرأة لها القدرة على إثارة مشاعره بشكل خاص لا يقاوم .. يصعب عليه التحكم فيه .

صعد إلى السطح وطاف حتى يقيم التلفيات التي احدثتها "لودوفان"، رأى خدوشا في دهان الهيكل ، ولا يوجد شيء جسيم . إن هذا المركب شديد المقاومة مثل مالكته . عندما عاد إلى الكبينة ، رأى "ماريا" جالسة على الأرض.

توقف في مكانه.

- لكن ماذا تفعلين هنا؟

ابتسمت:

- إنني مالكة هذا المركب . انا في مكاني .

- وإذا كنت الرجل المخرب؟

- مستحيل . اعرف خطوات قدميك.

- تعرفين خطواتي؟

- هل تحدثت مع جدك؟

- لا . لقد جئت لأرى إذا كان هناك تلفيات في "سبيريتوس".

- هذا لطف منك . ولكن من الوهلة الأولى لا يوجد شيء جسيم.

رفعت الغطاء ونهضت.

قالت :

- ساعد القهوة.

قهوة . في كل مرة يتقابلان تقترحها عليه . ثم ينتهي بهما الأمر إلى حديث حميم.

- لا ، لا عليك . يجب أن تعودي إلى المنزل وتنامي في سرير دافئ . لقد أشرفت على كل السفن.

- من واجبي أن ابقى هنا هذه الليلة .

- إنه انا من سيبقى . يمكنني النوم فوق ظهر "سبيريتوس" أو "لودوفان".

- شكراً ، لكن هذا جزء من عملي . انا مسؤولة عن كل ما يحدث هنا .

- حسناً ، هل علي أن أنام فوق ظهر "لودوفان"؟

نهضت ووقفت امامه ، عاقدة ذراعيها والرياح تحمل شعرها مثل جنية البحر . ثم تقدمت نحوه خطوتين . ظل مركزاً عينيه في عينيها ثم

نزلت حتى شفتيه حيث توقفت برهة.

ببطء ، وقفت "ماريا" على أطراف أصابعها وقبلت "چاك" في حنان.

استسلم "چاك" لقبلتها ثم احتضنها بدوره.

همس:

- "ماريا".. يا جنيتي ، من الأفضل أن تخبريني . أين تريدينني أن أنام وإلا ..

- لقد فكرت في ذلك . كل ليلة ، منذ أن جئت إلى هنا .

www.elromancia.com

الفصل الثامن

استغرقت كلمات "ماريا" بعض الوقت حتى اخترقت عقل "جاك".

سالها قلقاً:

- "ماريا" ، هل انت متاكدة من انك لن تندمي؟

اسكتته بلمسة من اصبعها على شفتيه .

استطرد:

- لا شيء سيمنعني عنك.

- ما الذي يمنعك إذن؟

اغلق عينيه .

ابتسمت "ماريا".

- بما انك قرصان ومحتال ، فانت تاخذ وقتك. خذني كالقرصان الذي لا يستطيع اي شيء ان يقف امامه .

- لا يستطيع اي شيء ان يقف امامي سوى رفضك إياي ..

قبلها "جاك" بقوة . كان كل شيء يتارجح حولهما . كانا يشعران بانهما غارقان في بحر من اللذة ، يغوصان في محيط النشوة.

وصلت إلى "جاك" رائحة البحر والطحالب. استيقظ فزعاً على شعاع الشمس الذي داعب عينيه . كان بمفرده والمحركات تعمل في بطء.

مرة اخرى ، قلبت "ماريا" خطته راساً على عقب . تصاعدت في الهواء رائحة القهوة . كان جائعاً .

ذهب يبحث عنها .

كانت السيدة الشابة في كبينة القيادة.

- هل تستطيعين ان تفسري لي . اين نحن ؟

- في وسط البحر.

- اشك في ذلك.

- لقد وصلنا إلى العلامة الكبرى . هل تريد بعض القهوة ؟

امسك القدح الذي ناولته إياه وجذبها بين ذراعيه . سالها وهو يقبل عنقها :

- هل نمت كل هذا الوقت ؟

همست:

- اردت ان اخرج إلى البحر معك.

- كنت استطيع ان اساعدك . لم تكوني بحاجة إلى خطفي. كيف فعلت لتنزعي الهلب بمفردك؟

- لقد ساعدني "ميجيل" .

انفجرت ضاحكة امام ملامحه المذعورة.

- لم يرك . خشيت أن تستيقظ مفزوعاً . كان ذلك سيقضي على سمعتي.

- ولكن ماذا يفعل "ميجيل" هنا؟

- غالباً ما يأتي مبكراً ليشرف على السفن.

- لقد قلت له ما حدث .

أغلق عينيه.

قالت :

- أردت أن أعرف : إذا كان قد تأكد من ربط الحبال بنفسه؟

- وماذا إذن؟

- لا لم يفعل .

على الأقل هذا المساء .. لقد كشف عليها هذا الصباح وهي تربط السفينة.

قال في سخرية:

- أراهن على أنك قد أخبرته بأمر عمليات التخريب .

- اسمع . ليس لـ"ميجيل" أي شأن في ذلك . أنا أعرفه جيداً .

- هل تعتقدين أنك تعرفينه؟

- "ميجيل" يعمل عند آل "مارلو" وقبلك منذ سنوات . لقد أتى إلى هنا قبلي بسنوات طويلة وقبلك أيضاً.

- لكن الناس يتغيرون . لا يمكنك الاعتماد على شخص ما بدعوى أنك تعرفينه.

دون أن يرفع صوته وكذلك دون أن يلقي بسلاحه ، أمسك رأسها .

قالت:

- بل . أنا أستطيع الاعتماد على من أعرفهم من الناس .

- هل تعتقدين ذلك؟

- إنه أنا من تأمر هذه السفن يا "جاك" . وسأظل أنا من أمرها. يجب أن أتعامل مع أفراد الطاقم وجدك . ولا أستطيع أن أسمح لنفسي بأن أصفهم بالخيانة .

حررها من عناقه ومسح وجهه بيده . إنه لا يريد مواصلة الحديث في هذا الأمر . كل ما يريده هو أن يسبح في موجة الأنوثة المنبعثة من هذه السيدة الشابة بالإضافة إلى ذلك، فهي محقة . إنها تعرف شركة "مارلو" أفضل منه وستبقى هنا عندما يرحل هو. في الحقيقة ، لن تكون له الكلمة الأخيرة مع هذه السيدة .

إنه لا يستطيع التنبؤ بردود أفعالها ولا معارضة حججها أمام هذا العجز ، اعترته موجة غضب . وهو الذي يقول : إنه يفعل ما يريد في حياته!

تنهدت وارتمت بين ذراعيه.

قال :

- دعينا نحلم معاً يا جنيتي الصغيرة . لن أدعك تهربين . انسي كل ما قلته . لننس كل شيء . اليوم فقط .

- اجعلني أنسى إذن أيها القرصان وانس معي .

كان كل شيء حولهما ينسج جواً شاعرياً ، حلماً دافئاً .

كانت الأمواج تخبط هيكل "سبيريتوس" في لطف . وراس "ماريا" فوق صدر "جاك" وهي تشم رائحة الملح واليود والشمس وتستمتع بالسماء الزرقاء ، وهدهدة الأمواج الناعمة . كل شيء يتسابق ليبعد

عنهما اقل شعور بالحقيقة.

اخذ يربت شعرها الأسود الحالك.

- في النهاية ، لم تكن فكرة سيئة بان نخرج إلى البحر.

- كان لابد من ذلك . كنت اعرف انه سيكون يوماً جميلاً.

- ماذا ؟ هل تجيدين التنبؤ؟

- بالتاكيد.

- أصدقك بالفعل . فانت تعرفين المحيط .. بالفطرة.

- وانت ايضاً يا "چاك".

- انا ؟ لا .

- أوه ، لكنك لا تريد الاعتراف بذلك . و تسمي ذلك خبرة . في لمحة واحدة ، تعرف ما سيحدث في الباخرة.

- ربما تكونين على صواب . لقد تعلمت قيادة السفن وانا في السادسة عشرة . عندما ترك لي جدي القيادة واستلقى في الكبينة كنت خائفاً ومرتعشاً مثل الورقة.

- لكنك لم تفشل على الاقل .

- لا . لقد تركني اقودها حتى الميناء . كنت خائفاً لفكرة انني ساخرج من القناة . كانت عيناي مثبتتين على المجس . وفهمت اهمية هذا الجهاز الحقيقية في إنقاذ المركب .

- وليس في البحث عن الحيتان؟

- لقد رباني جدي يا جنيتي الصغيرة وعلمني خاصة ان احافظ على رأس المال .

- هل بدأت القيادة منذ هذا التاريخ؟

- بمجرد ان وصلت إلى السن التي احصل فيها على رخصة قيادة سفن . لم ارد ابداً ان اعمل في مهنة اخرى.

- افهم ذلك . في مثل هذا السن كنت على استعداد لكي اعطي.. حتى ثوبي لامتلك مركبا . كهذا .

امسك بخصلة من شعرها .

كنت اود ان اراك في هذا الثوب الثمين . لابد انك رائعة كنت على استعداد لكي اعطي مجموعة بطاقات الـ"بيسبول" نجوم البحر الجافة لكي ..

- لست ادري إذا كنت اضعف امام بطاقات الـ"بيسبول" لكني واثقة انه يمكنك الحصول على قلبي مقابل نجوم البحر الجافة.. تفضل ، قلبي سامنحك إياه لاشيء إلا لتذكرني .

ضمها بين ذراعيه . سياخذ هذا القلب.

قلب جنية البحر، الواحد من آل "مارلو" دائماً ياخذ ما يريد . لكن ليس لديه ما يعطيه في المقابل.

ولا حتى نجمة بحر جافة وهذا هو مادار في خلد "چاك". في منتصف النهار وصلا بالقرب من جزيرة "كلاب البحر" عند منطقة الجنوب.

وضعت "ماريا" السماعات المائية ،وسخر منها "چاك" مقارناً الحيتان بمغني الروك . إن السخرية تصرفه عن التفكير في المستقبل.

لحق بهما "بواكيم" بعد ساعتين . كما لو انه اراد مفاجاتهما ، انتظر حتى اقترب من المركب وصاح . ثم ظهر على سطح الماء على بعد خمسين متراً من المركب .

فزعا:

- كيف عرف اننا هنا؟

- التليفون الغربي بدون شك.

قبلها ضاحكاً:

- هل تعرف أن "بواكيم" لا يفعل ذلك مع الجميع ، باقي المراكب لاتكاد تراه.

رفعت كتفيها .

- لابد انه يحب هذا المكان على وجه الخصوص . لا يوجد احد في هذه المنطقة.

- لم ار احداً في الحقيقة ابداً ، لكن احياناً ياتي بعض الافراد إلى هنا . لقد وجدت آثار اقدام فوق شاطئنا.

- شاطئنا؟

استطرد.

- نعم شاطئنا . حوتنا . محيطنا.

- قل يا "چاك مارلو" ، هل ستتجه إلى الخيال .

- ليس صحيحاً ، فكرت على الاحرى ان اتجه إلى التوسع العقاري ، فندق يطل مباشرة على الشاطئ سيحقق ذلك رواجاً يشبه رواج الحلوى.

خبطت رأسه بالوسادة.

- توقف ، اليس هذا غريباً؟

- انت محقة من الافضل الذهاب للبحث عن الكنز .

- البحث عن الكنز؟

- اقتربي مني وساطلعك على كيفية فعل ذلك.

إنه كنز القراصنة مال سيئ المصدر لقد عثرا على ذهب . ذهب القراصنة ذهب يتسرب بين الاصابع و لا يبقى إلا في زمن الحلم .

ظل حلمهما حتى مغيب الشمس ، همس باسمها فادركت ان هذه هي نهاية رحلتهما . قطع "چاك" الصمت الذي خيم عليهما .

- لا اريد ان تنتهي هذه اللحظة ابداً.

دون ان تجيبه ، امسكت يده. ساد صمت ثقيل بينهما .

تعلقت بكتفيه .

- "ماريا" اريد ان اقول لك...

الا يقول لها شيئاً على الإطلاق . هذا افضل ان يتركها تنعم بلحظاتهما الأخيرة.

- ربما لا تكون مشكلات الشركة جسيمة.

قالت بصوت خافت :

- ربما .

بدون شك يشعر "چاك" بالذنب ؛ لانه افترس كل كنز القراصنة دون ان يخلف شيئاً خلفه .

- لكن إذا كان الأمر جاداً إلى هذه الدرجة ، وإذا كنت اخطات الحكم فيما يتعلق بافراد الطاقم..

قاطعته :

- إيه حسناً ، ساكون مخطئة ، هذا كل ما في الأمر .

تبادلا النظرات برهة وشعر "چاك"- مغتاظاً - انه لن يستطيع تغيير رايها .

قال:

- لا أريد أن يحدث لك اي شيء.

- أعرف .

نهضت . كالمعتاد ، تكلمت في هدوء .

بحركة كسول ، رفعت السماعة المائية وعلى شفتيها ابتسامة حزينة.

- "چاك" ، لا يمكنك التنبؤ بالمستقبل ، عندما ياتي المستقبل سنواجهه .

انفرجت أسارير وجهه .

قالت :

- هيا بنا ، يجب أن نعود .

ظل صامتاً طوال النصف الآخر من الرحلة.

الفصل التاسع

انشغل ذهن "چاك" تماماً بـ"ماريا" حتى إنه لم يلاحظ تعطل المحرك الأول . ثم لاحظ نظرة القلق التي اعترت "ماريا" وهي ترمق خزان الوقود.

فكر "چاك" على الفور في أن "سبيريتوس" قد تعرض لعملية تخريب .

قال:

- ابقي في كبينة القيادة، سانزل .

ما إن وضع قدمه على السلم حتى توقف المحرك تماماً ، ابطا المركب بشكل واضح .

امتلأت حجرة المحركات بدخان اسود كثيف ، وانبعث منها رائحة بنزين قوية . نادت "ماريا" داخل الكبينة:

- ماذا يحدث ؟

www.elromancia.com

فحص "چاك" المحرك . إنه عطل قد يكون له الف سبب ، لكن هناك طرقاً بسيطة لإحداث عطل واحد . كان ابسط تلك الطرق هو وضع الماء في الخزان.

صاح:

- سافحص المرشح.

لم يكن في حاجة لكي يشرح لها السبب في ذلك . إن "ماريا" تعرف عملها .

سالته عندما صعد :

- ماذا إذن؟

- هناك ماء في زيت الوقود ، عدة لترات ، ومن حسن الحظ ان المحرك الآخر لم يتعطل . ليس هناك إلا العودة باستخدام هذا المحرك .

شغلت "ماريا" جهاز الراديو . اجابها مركز القيادة.

- هنا "سبيريتوس" . لقد تعطل احد المحركين . نحن نتجه صوب الميناء مستخدمين المحرك السليم.

أغلقت الجهاز بعد ان حددت موقعهما . وعندما ارادت تجديد ندائها ، منعها "چاك" .

- لاجدوى من إشاعة هذا الخبر . سيعرف جدي مبكراً.

بدات "ماريا" تتاكد انهما ضحية عملية تخريب . سار "سبيريتوس" ببطء مدفوعاً بقوة الامواج . امسكت السيدة الشابة عجلة القيادة في صمت مركزة على الجزء المتبقي من الطريق .

إنها على حق لا جدوى من الكلام.

ولكن ارتعش "چاك" لفكرة أن تكون السيدة الشابة بمفردها مع

محركين معطلين . كيف تركها تتعرض لمثل هذا الخطر؟

لقد اغفل حراسة المركب في الوقت الذي تعين عليه فيه السهر على أمنه.

كان يلومها على إفراطها في الثقة وها هو يثبت غفلته .

التفت إلى السيدة الشابة التي نظرت إليه مبتسمة.

- امسك انت الدفة.

اندفع "سبيريتوس" بقوة الامواج العنيفة.

تذمر "چاك" وتلفظ بالسباب:

- من تقصد ، هل هو مركبي ؟

- لا اقصدني انا .

ابتسمت .

- هل تحاول إثراء مفردات السباب التي يعرفها ثعلب البحر العجوز؟

- إن مفرداتي كاملة منذ زمن طويل .

- إنها موهبة خاصة بال "مارلو".

صمت حتى لا يغضبها .

وصلا بمشقة إلى ميناء ال "مارلو" حيث ربطا "سبيريتوس".

كان مكتب "وايت" هو الوحيد المضاء بنور خافت .

لم ينبس "چاك" بكلمة ، لكن لاحظت "ماريا" ان عصبيته تزيد كلما اقتربا من المنزل .

لابد من مواجهة "وايت" ولن يفوتهما حدوث مشادة بينهما . وهي كالمعتاد ستكون ماخوذة بين نارين . كان الجو رطباً . أحاط "چاك" كتفي

السيدة الشابة بذراعه .

- تعالي ،إنك ترتعشين من البرد .

- تقوم السيدة "ساليتس" دائما بعملية الشراء ولا تشتري لي المشروبات التي تدفع على الدفء.

- ما رايك في تناول الشاي في غرفتي .

انفجرت ضاحكة:

- منذ متى وانت مضياف؟

في الحقيقة بعد كل تلك العواطف التي احيتها "ماريا" في نفسه، وبكل سرور قبلت "ماريا" دعوته . عبرا باب المطبخ ، وصعدا إلى غرفة "چاك" .

كانت غرفة صبي ، مزدحمة بالميداليات الرياضية وكتب المغامرات . وكانت النظارة المكبرة موضوعة فوق مكتب صغير في ركن الغرفة. سكب "چاك" الشاي ومد يده إلى السيدة الشابة بقدحها . وعندما تلامست اصابعهما جذبها نحوه وقبلها .

في تلك اللحظة تماماً ، فتح الباب ليدخل "وايت".

كالتلميذة التي ضبطت في وضع مشين ، وثبت "ماريا" إلى الخلف وبنظرة واحدة قيم الرجل العجوز الموقف . ثم استدار نحو حفيده .

- هل لهذا جئت إلى هنا ؟

أصبحت نظرة "چاك" اكثر قوة.

- ادخل إذن ارجوك.

استطرد:

- اعتقد ان عليك طرق الباب.

- اعتقد ان عليك إغلاق الباب بالمفتاح .

- ليس من الضروري عندما لا يكون هناك ما الام عليه .

علا صوت "چاك" :

- ماذا تريد؟

- لقد عينت "ماريا" ولا اريد ان يحدث لها شيء مهما يكن .

حاولت السيدة الشابة ان تتدخل :

- "وايت" .

- وانا ايضاً ، لا اريد ان يحدث لها مكروه خاصة على سطح احد مراكبك .

- ماذا تقول ؟

- لقد عادت "سبيريتوس" إلى الميناء بعد مشقة بالغة هذا المساء. كان هناك ماء في الخزان . مياه كافية لتعطل المحرك الأول وتهدد الثاني . لا تقل لي : إن ماء دخل إليها بمفرده .

- هل تقصد ان احداً قد وضع ماء في الخزان عن عمد؟

- تماماً .

- اسمعني جيداً إذن ايها الشقي..

- لا ، انت الذي ستسمعني ! خلال شهرين ، تعد تلك الحادثة رقم خمسين وهذه الأخيرة كادت ان تعرض حياة احد موظفيك للخطر. هناك من يخرب مراكبك وقد حان الوقت لإبلاغ الشرطة .

خيم صوت يشوبه التوتر على الغرفة الصغيرة.

- هل جئت لهذا ؟ للعبث في عملي ؟ ولاتهامي بانني لا أستطيع القيام به بمفردي؟

تدخلت السيدة الشابة.

- "وايت" إنه عملك انت وهو عمل مزدهر . ولهذا السبب يثير غيرة الآخرين.

- أرى أنك في صفه يا "ماريا" . لقد قص عليك الأكاذيب والآن يصحبك إلى غرفته خلسة.

- لا أحد يسعى لاختلاس شيء.

- آه ، كلا ؟ منذ كم من الوقت وانت تحقق في ذلك الأمر يا "چاك":

ضم "چاك" قبضة يده.

- منذ مجيئي.

سأل "وايت" السيدة الشابة:

- هل كنت على علم بذلك؟

سألت "ماريا" نفسها : كيف تهدئ الرجلين ؟ لكنها لم تجد الوقت لتجيب .

تدخل "چاك" :

- نعم . كانت على علم . وهذا هو اقل شيء عندما يكون امن الجميع في خطر . بالأمس اصطدم مركبها بمركب "لودوفان" الذي فقد حباله . واليوم تعطل "سبيريتوس" في عرض البحر بفعل مجرم اخترت ان تجهله . لقد حان الوقت لتتوقف عن ذلك يا جدي .

- آه ، أهو كذلك ؟

استشاط الرجل العجوز غضباً.

- نعم ، هو كذلك.

- هل تجرؤ على الادعاء باني اعرض "ماريا" لكل هذه الأخطار. اهكذا

اعامل موظفي؟

ارادت السيدة الشابة أن تتدخل ، لكن بعد فوات الأوان . لقد بلغ العداء أشده بين الرجلين .

- إيه حسناً . انتما مفصولان . انا لا اعرض حياة موظفي للخطر ، كما اني لا اسمح لاحد بان يدس انفه في اعمالي بالإضافة إلى إملائه ما يجب علي أن افعله .

مرتجفا من شدة الغضب التفت نحو حفيده .

- انا لا احتاج إليك خاصة ولا إلى تحقيقاتك التي لا قيمة لها . يمكنك أن تاخذ "لودوفان" . مقابل نصيبك في الشركة وتختفي .

ثم التفت صوب "ماريا":

- بالنسبة لك ، خذي "سبيريتوس" إلى الورشة البحرية لتصلحيه وابعثي لي بالفاتورة.

- هل تعتقد ان ذلك سيحل مشاكلك؟

تجاهله "وايت".

- إذا رايت غداً أحد هذين المركبين على رصيف "مارلو" فساطلب من مركز القيادة رفعه .

ثم خرج خابطاً الباب.

شعرت "ماريا" بالشفقة نحو "وايت" ، وكادت تخرج خلفه ، لكنها تراجعت عندما سمعت صوت السيدة "ساليندس" . من الأفضل الا تتدخل . التفتت نحو "چاك" .

قال:

- آسف . ماكان يجب أن اقحمك في هذا الشجار.

- هذا اقل ما يقال !

- لا اعتقد ان ..

- كان في إمكانك على الاقل ان تتركني اعبر عن نفسي . إني اعمل مع "وايت" منذ شهرين وانا اعرف الآن كيف اقدم له الاشياء.

- هل تعتقدين انه كان سيستمع إليك؟

- لست ادري . ولكن لن يكون الامر اسوأ مما كان .

- تباً ! لم اقل له إلا الحقيقة . كان لابد من تجنب الحديث عنك، لكن من المهم مجابهته بالاحداث .

- الاحداث ؟ لكن المشكلة الحقيقية ليست هنا يا "چاك" . المشكلة هي الصراع الذي يقابلك بجدك . انت تختفي خلف الشركة والحادثة التي اصابت المركب ولكنه جدك من تريد الوصول إليه، وذلك باستخدامي.

- إني استخدم ما اقدر عليه . إنه مركبك ، اليس كذلك ؟ إن الامر يتعلق بامنك.

- إذا كان هناك مشكلة على احد المراكب يمكنني حلها ، شكراً لك . سيكون من الافضل ان تهتم بشؤونك يا "چاك مارلو" . إذا كان العمل يستهويك إلى هذا الحد . فاشرح له ذلك بشكل آخر وإذا كنت تريد ان تصبح عضواً في فريق العمل من جديد فعليك ان تقول ذلك لـ"وايت".

لمع الشرر في عيني "چاك" . كم يشبه جده في تلك اللحظات!

إنه قرصان يعرف ما يريد ، يغير اتجاهه كلما اراد ذلك.

لكنه سرعان ما تغلب على غضبه .

- لم اقل ابداً: إنني اريد العودة يا "ماريا" . لقد تخليت عن هذا العمل منذ زمن بعيد وليست لدي ادنى رغبة في استئنافه.

- هذا ليس سبباً ليمنعني من مواصلة هذا العمل .

تقدم نحوها . اعتقدت "ماريا" انه سيجذبها إليه إلا انه اكتفى بان وضع يديه في جيبيه.

- لم اقصد أن اتسبب في فصلك .. اسمعي هذا ليس العمل الوحيد في "جول كوف" . لست في حاجة إلى جدي. ستكسبين اموالاً اكثر من عملك كخبيرة بحرية لشركة تامينات .

رفعت صوبه عينين تغيمهما الدموع .

- لكن ليست لدي ادنى رغبة في أن اكون خبيرة بحرية لشركة تامينات.

- إيه حسناً ، اعملي في شيء آخر . هل تريدين الاستمرار في الإبحار؟ عندي مركب يبلغ طوله ثلاثة وثلاثين متراً . هل تريدين قيادته؟

-"لودوفان".

-نعم.

شعرت بالدوار ، استندت إلى الطاولة الواقعة خلفها ، بتلقائية امسكت النظارة المكبرة التي وجدتها فوقها .

لقد اعطته كل شيء: جسدها ، قلبها ، حياتها ... وكل ما قدمه لها .

ارتعدت :

- لـ"لودوفان" قائد . "ميجيل".

- "ماريا" ..

- لا ! هذا خارج المناقشة . لست للبيع يا "چاك مارلو".

على هذه الكلمات ، هربت إلى الشاطئ ، ومازالت ممسكة بنظارة "چاك" المكبرة . وضعتها في جيبها واخذت تجري فوق الرمال المبتلة .

استنشقت "ماريا" هواء البحر ، وشعرت بالرياح وسمعت صوت الأمواج . كانت تحتاج إلى هذا الجو الهادئ اللطيف لتهرب من عالم حيث يخونها كل شيء حتى قلبها وصلت إلى حافة الشاطئ الكبير ، واجهت البحر وفي يدها نظارة "جاك". كانت الأمواج تتدافع بعيداً.

تألمت أصابعها من شدة قبضتها على النظارة.

لقد حذرها "جاك" . قال لها : الا تتعلق به وألا تمنح أحدا ثقتها. لكنها كانت تعتقد انها أقوى من ذلك وانها لا تخشى أن تتألم.

والآن ، هي وحيدة ، مهجورة مثل هذا البحر الموحش على الرغم من العاصفة القادمة ، استطاعت أن ترى مركب صيد ينبعث منه ضوء أحمر وأخضر في ظلمة السماء .

فكرت ، هذا مركب "توم بربيرا" ، والد خطيبة "ميجيل" وفقاً لحديث "ميجيل" فإن هذا العجوز على أتم استعداد لتحمل كل الأخطار لكسب المزيد من المال.

لتطيل نزهتها ، تقدمت "ماريا" على الشاطئ بعيداً في اتجاه المدينة وجدت شاحنة التموين التي راتها امام المركب "لودوفان".

أخرجها من تفكيرها هدير محرك . حدقت لكنها لم تر أي ضوء.

نظرت نحو الميناء لتعرف أي مركب قد خرج ، لابد انه ملحق مركب "بربيرا" لكن "توم" لا ياخذه ابداً تاركا إياه على الرصيف .

خفق قلبها بشدة . المركب ، الشاحنة ، ملحق المركب.

أرشدها الصوت المتباعد ، حدقت في البحر بنظارتها المكبرة فرات ملحق المركب تتقاذفه الأمواج ، من هذا البحار المتهور؟

لقد تعرفت على وجهه .

إنه "جاك" !

فهمت السيدة الشابة ما حدث . عندما اكتشف "جاك" الشاحنة أمام الباب أراد أن يتبعها وعندما رأى مركب "بربيرا" يخرج من الميناء قفز في المركب الصغير ليتبعه ، في البداية استخدم المجادفين ثم أدار المحرك.

عادت صوب "سبيريتوس" وشغلت الرادار.

وبسرعة سمعت الصدى الخافت لصوت الزورق الصغير وصوت مركب الصيد أكثر وضوحاً . إنهما يتجهان مباشرة نحو جزيرة "كلاب البحر" على بعد عشرة أميال.

حل محل الحزن مشاعر كثيرة متناقضة في نفس "ماريا"، مشاعر امرأة بحار خرج رجلها إلى البحر وقت العاصفة . وضعت النظارة المكبرة على الطاولة . من المستحيل استخدام "سبيريتوس" فهي معطلة لكن لديها زورق الإنقاذ . بقوة ١٥٠ حصانا يمكنها اللحاق بمركب الصيد ومطاردته.

دون أن تتردد برهة ، غادرت "سبيريتوس" ، لتركب زورق الإنقاذ.

الفصل العاشر

اخذت الامواج تتقاذف الزورق الصغير في صخب . واخذ "چاك" يقاوم كل تلك الصعاب التي تواجهه في بحر عاصف دون ان يتذمر من هذه الأحداث المتلاحقة .

ومع ذلك فقد اخرجته هذه الحادثة من غضبه ومن التفكير في كلمات "ماريا" الاخيرة .

لقد أوقف المحرك الصاخب الآن . تشبث بالمجدافين والقى نظرة على انوار مركب "بربيرا" .

كم كان يود أن يحتضن "ماريا" بشدة ويعترف لها بانهما قد خلقا لبعضهما البعض ! ولكن على الرغم من شدة حبه إياها، لن يرغمها على ذلك . إنه لم يرغم ابداً امراة على حبه. إن كل ما حدث لا يرجح كفته . كان من السهل أن يعدد الأشياء الإيجابية النادرة التي قام بها مؤخراً .

الحمد لله انه لم يورط "ماريا" في هذه المغامرة المجنونة . مالم يتشاجرا، لكانت إلى جواره الآن. تذكر شجاعتها ، وإخلاصها ، وثقتها التي خانها وشعر بالندم يعتصره . إنهم يتجهون نحو جزيرة "كلاب البحر" لو لم يتوقف مركب "بربيرا" عند الجزيرة ، سيدعه "چاك" يفلت ويلوذ بالجزيرة هذه الليلة ليعود إلى الميناء في الصباح .. ولكن شيئاً ما حدثه بان المركب سيرسو عند شاطئ الجزيرة.

وفجاة انطفا الضوء الذي يشير إلى موقع المركب .

لابد أن المركب قد مر خلف الصخور التي تتقدم ساحل الجزيرة.

لقد اختار "بربيرا" بخبرته مكاناً يسمح بإرساء مركب بهذا الحجم.

اقترب "چاك" من الساحل بدوره . حاول ان يرسو في مكان مياهه عميقة فلم يستطع . ولا يمكنه المغامرة بالذهاب خلف الصخرة التي يرسو عندها مركب "بربيرا" وإلا اكتشفوا امره . اما عن المكان الآخر الذي يرسو فيه مركب "ماريا" عادة ، فكان خارج المناقشة.

اتجه صوب الصخرة واستطاع أن يرسو اخيراً . ارتضى بذلك ؛ لانه لم يستطع أن يجد مكانا افضل . والآن لابد ان يقترب منهم ، ليس ليقبض عليهم لكن ليكتشف نشاطهم الذي يبدو ظاهرياً عملاً مريباً . وعلى الفور سيتمكن من عمل تقرير لحرس السواحل . صر اسنانه وقفز إلى الماء المتجمد . ساعده للوصول إلى مكانهم صرير المحرك . وصل "چاك" إلى الشاطئ عند مجموعة صخور

مشرفة على البحر . كان يكفيه أن يتسلقها ويكون آمناً .

لكنه لم يحسب حساب الأمواج التي اقتلعت هلب الزورق الذي استخدمه "چاك" فجنح واخذ يتارجح في اتجاه الشاطئ مخترقاً الضوء

الصادر من مركب "بربيرا".

سمعت "ماريا" الأصوات الصادرة من المركب . تحرك بعض الأشخاص ، يوجهون أضواء البطاريات ناحية الصخرة التي تختفي خلفها . بحرص شديد ، اقتربت من القناة ودققت السمع زورق ! سمعتهم يقولون : زورق جانح . إنه زورق "چاك" ، بدون شك. سمعت صوتا جهوريا . إنه صوت "توم" والد "لوسي بربيرا".

- إنه زورقنا . ماذا يفعل هنا ؟

- لابد أنه قد انفلت من المركب .

أدركت السيدة الشابة أن "چاك" لم يكن فوق سطح الزورق. ولكن أين هو إذن؟

ربما سقط في الماء ، من يدري ؟

شعرت بدفعة قوية من الخلف أفقدتها توازنها . كادت تصرخ من فرط دهشتها عندما ظهر أمامها رأس "چاك" المبتل .

- تباً يا "ماريا" ، ماذا تفعلين هنا؟

ساعدته على الصعود إلى سطح الزورق .

قالت بصوت منخفض :

- سمعتك عندما خرجت . كنت عند الشاطئ عندما خرج المركب وتبعه الزورق . عندما أدرت المحرك ، اكتشفت أن زورقهم قد اختفى، تبعت المركب على شاشة الرادار ، أوه يا "چاك" .

توقفت عن الحديث . لقد تصاعدت أصواتهم على الجانب الآخر من الصخور . سيدير "چاك" زورق "ماريا" حتى يتواريا خلف الصخور التي تواجههما .

- لا تتحركي ، إنهم لا يتوقعون وجود زورق آخر وسيبحثون عني على الشاطئ.

- ماذا يفعلون على سطح هذه الجزيرة؟

- لست أدري . لم أجد الوقت لأرى . مخدرات بدون شك. لابد أنها نقطة لقاء . أراهن على أن "بربيرا" يحصل على حمولته مختفية في صناديق الكابوريا .

ابتعد المركب في اتجاه الشاطئ . تتحدث الأصوات الآن عن تحميل البضاعة بسرعة.

- يجب أن أذهب لأرى عن قرب ما يحملونه.

- كلا يا "چاك" ، هذا خطير جداً ، لننتظر حتى يبتعدوا ونبلغ حراس السواحل .

- لن يمكننا إثبات شيء ، يجب أن أذهب لأرى حقيقة الأمر بنفسي .

- أرجوك يا "چاك" ، دعهم يذهبون .

- كلا ، شركة "مارلو" متورطة في هذا العمل ، يجب أن أتحلى بالشجاعة.

وبدون أن ينتظر منها رداً ، اختفى في الماء المظلم شديد البرودة.

بقيت "ماريا" وحيدة في مخبئها ، تسمع رجال "بربيرا" يجوبون الشاطئ والصخور بحثاً عن "چاك".

صاح أحدهم:

- من هنا ؟

توقفت المحركات وساد الصمت.

- يوجد شخص هنا .

www.elromancia.com

قال آخر :

- لا ، لا . لا شيء لا يوجد أحد .

قاطعهم صوت "توم" آمراً:

- أغبياء ، والزورق ، هل أتى بمفرده ؟ إن هذا الشخص هنا ، مختبئ بين الصخور .

مسحوا الساحل ببطارية.

- اظهر ، أعرف أنك لست من الشرطة.

بعد فترة صمت قصيرة ، استطرد "توم":

- من أنت ، تباً لك! ربما "چاك مارلو" ؟ أنا على صواب ، أليس كذلك ؟ على أية حال ، إنه ليس العجوز.

لم تعد "ماريا" تحتمل . إن "توم" يخمن . ولكن تخمينه صحيح. صاح مرة أخرى:

- هيا ، اخرج من هنا ، أريد أن أقترح عليك اقتراحاً .

حدقت "ماريا" في الظلام ، ولكن لم يكن هناك أثر لـ"چاك" .

- لو حصلت على العمل من جدك ، فساعطيك جزءا ، أربعين بالمائة ، هل يناسبك ذلك؟

وجه "توم" ضوء البطارية في أحد الاتجاهات وأشار إلى أحد رجاله بالبحث في هذا المكان . هل "چاك" في مامن منهم ؟

اعتصر الخوف قلب "ماريا".

- في الحقيقة ليس لديك الخيار يا "چاك مارلو" . اظهر قبل أن تتسبب في هلاكك . يمكننا أن نتركك هنا ونعود في الصباح . نتركك بدون مركب . أو راديو لن تستطيع الهرب . هيا ، كن عاقلاً.

اقترب "توم" من مخبأ "چاك" . فجأة ، رأت "ماريا" جسماً يطفو فوق الماء المظلم ، كان "چاك" يسبح في مواجهته عابراً القناة ، بينما كان تابعو "توم" مديرين إليه ظهورهم.

همت تمنحه يد العون في الابتعاد . إذا استطاعا التوجه إلى الجنوب فسيكونان في مامن .

- هيا ، اظهر يا عزيزي! بدأت أفقد صبري .

ازداد توتر "ماريا".

صاح أحدهم من فوق ظهر المركب .

- ها هو .

فجأة ظهر صوت قوي يشبه الزئير . تعرفت "ماريا" عليه على الفور ، إنه أحد الحيتان يسبح بين الأمواج الهادرة ، بصعوبة اندفع الحوت نحو القناة.

حاول قائد المركب تجنب الحيوان الذي حال بينهم وبين "چاك" تصاعدت صيحات الفزع . بينما رموا شباكهم حوله.

انحرف المركب صوب الصخور ذات الطحالب .

طفا "چاك" على بعد ثلاثة أمتار من "ماريا" التي ألقت إليه بحبل.

وعلى الطرف الآخر من القناة ، صاح "توم" يأمر قائد المركب بأن يجمع رجاله الذين تفرقوا على الشاطئ للرحيل . ومن ناحية أخرى أخذ الحوت - محصوراً بين الصخور والشباك - يصارع فزعاً.

انسحب مركب "ماريا" خلسة من المكان و"چاك" على سطحه. تعلقت السيدة الشابة بكتفه فاحتضنها .

- لقد كان "بواكيم".

- اعرف.

صمت "جاك" مهموماً.

- لقد رحلوا يعتقدون انني محتجز على ظهر الجزيرة، ويريدون الابتعاد عن هذا الحوت.

كانت "ماريا" ترتجف و"جاك" يحاول ان يطمئنها.

- هل رايت ما اردت رؤيته؟

- نعم، مركبهم ممتلئ بصناديق اللبن "البودرة".

- لبن البودرة؟

- نعم، نوع خاص. هناك منه ثلاثة صناديق على ظهر "لودوفان".

- يا إلهي! هل مازلت تشك في "ميجيل" يا "جاك"؟

ابتعدت عنه ونظرت إليه.

- لست ادري.. ربما خبا شخص ما هذه الصناديق بدون علم الجميع بهدف توريط الشركة. "ميجيل" لا يستطع التواجد في كل مكان في نفس الوقت. إذا وقع احد البحارة على البضاعة فسينتشر الخبر بسرعة. حتى لو تم تبرئة الشركة، فستكتسب سمعة سيئة وربما اشيع عن وجود مخدرات على ظهر مراكبها وسنفقد كل زبائننا.

شعرت "ماريا" بتوتره وهو يفكر بسرعة. القت نظرة إلى جهاز الراديو، لكن ليس من الحرص إصدار نداء الآن فربما ذهب "بربيرا" لوضع الشحنة في مكان امن ثم يعود إلى الجزيرة لينتقم. هؤلاء الرجال لا يتراجعون امام اي شيء.

- هيا، من الأفضل عدم الانتظار هنا.

ادارت بصرها نحوه في حزن.

- و"بواكيم".

- كل ما نستطيع فعله هو استدعاء حرس السواحل وسيهتمون بامره غداً. أما الآن فليس لدينا اي معدات لمساعدته.

شعر بعدم الارتياح أمام نظرتها الراجية.

- هل تعتقدين أن بإمكاننا ان نفعل شيئاً؟

- لا، لا شيء انت على صواب. إنه امر صعب وخطر.

شعر بخيبة املها وحزنها. مرة اخرى خان ثقتها.

بدون شك لقد تخيلت ان بإمكانهما إنقاذ الحوت، وان "جاك" سيجد طريقة لتخليصه. لقد وثقت به، وهذه المرة ايضا يخيب املها.

مع ذلك لم يكن هذا خطاها. ادار الزورق في غضب. قال:

- سيتماسك حوتك حتى الصباح.

- لا. ليس لدى "بواكيم" اية فرصة ليحيا.

خيم الحزن على وجهه. لقد شارفت مهمته على الانتهاء، سيعيد الزورق إلى الميناء، ويبلغ حرس السواحل، ويتصالح مع جده ويعود إلى "بوسطن" كي يستعيد حياته المنتظمة، ذات الخطوات المحسوبة. حياة أرضية عادية بدون "ماريا".

ماذا لو لم يستطع العيش بدونها؟

لا يمكن ان يفقد المرء الأمل كلياً. اوقف "جاك" المحرك. سالته نظرات السيدة الشابة:

- سأستخدم المجداف. سنعبر القناة بدون ضجيج حتى لا نثير فزعه. ربما سيسمح لنا بالتقدم لإنقاذه.

لمعت عينا السيدة الشابة بالدهشة والسعادة.

اخذ يجدف.

- هل معك آلة لقطع الشبكة ؟

اخرجت من جيبها سكيناً ، ثم جلست في مقدمة المركب.

سمعا صوته خافتاً ،لابد انه فقد قواه.

استدارت "ماريا" نحو "چاك".

- اعتقد انه يقترب منا .. كما لو كان قد فهم.

شعر "چاك" بعاطفة عظيمة . اقتربت الكتلة الضخمة الداكنة من زورقهما الصغير.

يقف الحيوان الآن جنباً إلى جنب إلى زورقهما وبحركة واحدة من إحدى زعانفه يستطيع قلبه . امسكت "ماريا" جزءا من الشبكة التي حبست "بواكيم".

- سامسكك . حاول تقطيع الخيوط.

اقترب "چاك" من حافة الزورق لكنه لم يستطع الوصول إلى العقدة التي تمنع الحيوان من التنفس.

خلع قميصه.

- سأذهب ، حدثيه يا "جنيتي" قولي له : الا يتحرك ، وإننا هنا لنساعده.

كان ذلك ضرباً من الجنون . أرادت الاعتراض ولكن لم يمهلها "چاك" الوقت وقد غاص في ماء شديد البرودة إلى جانب مخلوق يستطيع قتله في لمح البصر . لابد من الذكاء أمام هذا الحيوان المتوحش.

كان جلد الحوت حساساً في المنطقة التي أحاطت بها الخيوط عند رأسه. لقد دخلت خيوط النايلون في لحمه تقريباً . يجب قطع كل عقدة

على حدة بالسكين حتى تتسع الشبكة ليتحرر الحوت.

كانت "ماريا" تربت الحوت محاولة تهدئته ببعض الكلمات . إن استخدام "چاك" للسكين حساس جداً . إذا قام الحوت او "چاك" بحركة خاطئة فسيجرح كلاهما .

- هيا يا صديقي ، اهدأ . ساحاول الا اؤلمك.

بعد ربع ساعة ، صعد "چاك" إلى سطح المركب . والخيوط تطفو حول الحيوان.

- ابدئي في التجديف يا "ماريا". ساحاول أن اجعله يخرج من الخيوط برأسه .

اخذت تتقدم بحذر:

- بهدوء يا "بواكيم" . قليل من الجهد وتتحرر . سترى ، سنخرجك من هنا .

جزء ا، جزءا ، انتزع الشبكة . تنفس الحوت محدثاً صوتاً، كما لو كان قد احتبست انفاسه مدة طويلة. ثم ابتعد عنهما ببطء،سعيداً بحصوله على حريته.

لم يتحرك "چاك"، نظر إلى الكتلة الداكنة التي تبتعد في المحيط الفسيح ثم شعر بيد "ماريا" فوق كتفه.

- حسناً يا "جنيتي" لقد نجحنا .

لم تنبس بكلمة ، واغرورقت عيناها بالدموع . التي طالما احتجزتها . يجب أن يغادرا الجزيرة الآن قبل عودة "توم". احتوى "چاك" السيدة الشابة بين ذراعيه . هو ايضاً شعر بالدموع تتصاعد إلى عينيه.

دموع تحولت إلى ضحكة مدوية ، حملها الريح إلى قمة الامواج.

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

كان الضوء ساطعاً في مكتب جده. عندما طرق "چاك" الباب في الخارج ، كان رصيف آل "مارلو" يلمع تحت اشعة شمس الصباح.

فتح الباب ، فظهر الرجل العجوز . ونظرة عينيه الزرقاوين الحادتين تنتظر أن تصعق أول قادم.

صرح "چاك" حتى يقتل الشجار المتوقع في مهده.

- إني هنا لاشرح لك ماذا حدث .

- ماذا إذن ؟

- قضيت الليل في تتبع "توم بربيرا" حتى جزيرة "كلاب البحر" لقد تسلم شحنة مخدرات ليوصلها إلى "روشيه دي ليتريه". لقد تدخل حرس السواحل في الأمر هذا الصباح.

قطب "وايت" حاجبيه.

- كيف تورطت في هذا العمل ؟

- أحد هؤلاء الرجال اخفى المخدرات على ظهر "لودوفان" ليخلق لنا المضايقات ، لكنه اعترف بكل شيء . لقد قال :إن "توم بربيرا" حاول تخريب شركتنا ليحصل على مراكبنا .

- "توم بربيرا"؟

- أراد الاستيلاء على أعمال آل "مارلو".

مرر الرجل العجوز يده في شعره الابيض الكثيف.

- نعم ، كنت اشك في ذلك منذ سنوات ، كان يحدد عدد الرحلات التي ننظمها.

لم يتوقع "چاك" رد فعل جده.

- كنت تعرف إذن..

لمعت عيناه بالغيظ.

- لا ، لا اعرف شيئا ! لكني لست بحاجة لمن يوضح لي الأمور.

لقد حاول شراء الشركة منذ ثلاث سنوات لكني صرفته وهو يجر أذيال الخيبة.

همس:

- فاستخدم كبرى السبل إذن.

- تمنى أن اغير رايي إذا واجهت المشكلات . كان ذلك وارداً بدون الإدارة الممتازة لـ"ماريا" .. وبدون فضول بعض موظفي التامينات ، ياله من نذل مسكين ، هذا الرجل !

نظر "وايت" عبر النافذة مفكراً . لم يحمل وصفه لـ"توم" اي غضب بل الشفقة.

سأله :

- هل "ماريا" على علم؟

- لقد كانت معي عند الجزيرة . لقد تبعتني .

www.elromancia.com

- هل هي مغرمة بك إذن ؟

- كل ما اعرفه هو انني احبها .

خيم صمت ثقيل بين الرجلين.

- ماذا تنوي فعله ؟ هل ستاخذها معك إلى "بوسطن"؟

استطرد في سخرية:

- هل ستجد لها عملاً في مكتبك ؟ ستبعدها بالتاكيد عن مراكبي..

- اذكرك بانك انت من فصلها ! لم يعد لها مكان في طاقمك .

- بالتاكيد لها مكانها في طاقمي . اعرف انها افضل مديرة في "جول كوف" كلها .. ماذا تريدها ان تفعل في "بوسطن".

تذكر "چاك" المناقشات العديدة التي دارت بينه وبين "ماريا".

- لا ، لا اريد اصطحابها إلى "بوسطن" ، إنها هي التي تريد إعادتي إلى هنا .

###

وقفت سفينة "سبيريتوس" بهيكلها الضخم عند الميناء.

راى "چاك" "ماريا" تخرج من كبينة القيادة وتصلح وضع احد الحبال.

احرقت الشمس ظهر "چاك" معلنة عن قدوم الصيف. كان لون البحر ازرق داكنا بالتناقض مع زرقة السماء الفاتحة . لم يحرك البحر الهادئ سوى موجات صغيرة تحمل الزبد الأبيض.

وقف لحظة بجوار سيارته يتامل الطبيعة الجميلة.

نظر إليه عمال الميناء . حياهم بيده . اتجه ناحية "سبيريتوس" تبعته "ماريا" بعينيها وشعرها الأسود الطويل يتطاير حول كتفيها.

هي ايضا لم تنم الليل لقد امضيا وقتاً طويلاً معاً ليلة امس ، كما لو ان البحر قد انحسر ليكشف عن شاطئ جديد غني بالقواقع .

صاح "چاك" :

- أوه ، كابتن . إني اصعد إلى سطح المركب .

ابتسمت.

- هذا ما اراه.

تحركت "سبيريتوس" . اختلط الصوت الذي صدر عنها باصوات الميناء .

- هل تحدثت إلى جدك؟

- نعم ، ستعودين إلى وظيفتك في شركة "مارلو" . لقد قال : إنه لن يتخلى ابداً عن افضل مديرة في "جول كوف"!

- القرصان العجوز ! يجب ان استفيد من الموقف واطلب علاوة.

- لقد قصصت عليه مغامرتنا مع "بربيرا" ولم يستقبلها بغضب شديد. اعتقد انه يشك في امري .

- لقد احسنت صنعاً . كان سيعرف عاجلاً او آجلاً . لااحد يتحدث إلا عن هذا الموضوع في مركز القيادة.

- سيكون الأمر قاسياً على "ميجيل" وخطيبته.

- نعم ، لكنهما سيتغلبان عليه ، إن "لوسي" بنت شجاعة . ستقف إلى جانب والدها لكنها ستعترف انه مذنب ثم إن لديها "ميجيل" .

- "ماريا" ..

نظرت إليه السيدة الشابة طويلا ولم يعرف من اين يبدا . على الميناء، كان الجميع يتطلعون إليهما وقد يتناثر الحديث وتنتشر الإشاعات.

- يمكننا ان نقوم بجولة في البحر قبل ان يغير "وايت" رايه ، ساتولى التجديف إذا اردت ان ترتاحي قليلاً.

- يمكننا ان نخرج لكني لا اريد ان استريح.

- لابد انك متعبة.

- هل تحاول التخلص مني يا "جاك" ؟

- كلا ، على العكس ، أريد أن أتحدث معك . أريد أن ..

توقف ليلتقط أنفاسه.

- إذا نفذت ما أتمناه الآن ، فسيدفع الناس أموالا على ما يشاهدونه .

قالت :

- علينا إذن الابتعاد قليلا.

اقترب "جاك" من المجداف ، كان لديه الكثير ليقوله لها . وإذا اقترب منها فلن يستطيع البوح بشيء.

على بعد خمسة أميال ، أوقف "جاك" المحركات وترك "سبيريتوس" في مهب الريح.

خيم عليهما صمت مهيب ، لم تجرؤ "ماريا" على قطعه . لقد أتم "جاك" مهمته . بدون شك سيرغب في الذهاب إلى "بوسطن" . ولن تمنعه كما لم تمنع "بواكيم" من الخروج من الشبكة حتى لا يصبح موته محققاً.

تقدمت على السطح حافية القدمين ، ومعها سماعة مائية . لحق بها "جاك" وفي يده النظارة المكبرة التي تركتها "ماريا" في الكبينة ليلة أمس.

قال وهو يضعها فوق أحد الرفوف:

- هناك أشياء تكون في أسرك . لست أدري لماذا احتفظت بها.

- لأنها هدية من جدك.

- هدية قرصان إلى قرصان.

ساد الصمت من جديد . بالنسبة لـ"ماريا" كان هذا الصمت محملاً بالأمل والخوف في آن واحد . انحنت لتلقي بالميكروفون في الأعماق . حركتها الدقيقة جعلتها تنسى ضيقها .

- "ماريا".

ارتعشت السيدة الشابة من صوته الأجش . التفتت إليه وتعلقت في

ذراعه ، سقطت النظارة المكبرة في الماء .

أسرعت السيدة الشابة محاولة منعها من السقوط في البحر، ولكن أوقف "جاك" محاولتها . اختفت الآلة القديمة في دوامة من زبد البحر.

- دعيها تغرق . إنها الماضي . حان وقت التغيير أريد أن أحتفظ بذكريات أخرى غير تلك التي عشتها مع جدي.

- أوه ! "جاك" . ستتوصل إلى ذلك . إني أعرف .

- هل أستطيع الاعتماد عليك؟

أجابت بصوت صارم:

- بالتأكيد.

- هل ستواسينني ، تهدئينني وتجعلينني أريح رأسي فوق كتفك عندما يحتاج الأمر ؟

- نعم سأبذل قصارى جهدي .

- هل ستتزوجينني ؟

رجعت إلى الخلف متسائلة : إذا كان يسخر منها ؟

اضطربت نظرات "جاك" .

- منذ سنوات عديدة أحاول إثبات أنني لست في حاجة إلى أموال جدي وأن بإمكاني النجاح معتمداً على أموالي الخاصة . ثم قابلتك .. ولقد أرجعت إلي ما فقدته . مالا أستطيع أن أدعه يفوتني. يا "ماريا".

احتوى وجهها بين يديه.

- ولا أريد أن أعيش بدونك.

قبلها وهو يهمس باسمها منتظرا إجابتها.

أجابت أخيراً:

- نعم.

لم يكن صوتها إلا همساً ولكنه كان كافياً، ليقلب كيان "جاك" . شعر بأنه في دوامة لذيذة من العواطف الصادقة.

فوق ظهر المركب الذي احتوته الشمس، ظلا محدقين في الأفق، تحملهما مشاعرهما الجميلة فوق السماء والنجوم ، إلى عالم ساحر.

ثم عادا إلى أرض الواقع على أصوات حولهما، صوت الرياح ، وصوت صادر من الميكروفون.

شيئاً فشيئاً اتضح الصوت الصادر من الميكروفون .

التفتت "ماريا" ناحية "چاك" . لقد سمع هو أيضا هذا الصوت . تعالى غناء الحيتان في صوت باك يدوي حولهما.

اقترب "چاك" من السيدة الشابة التي اعتلت شفتيها ابتسامة عذبة.

قال بدون تردد :

- "بواكيم.

- نعم ، نعم .. إنه هو .

- إنه يغني من أجلك يا "جنيتي" . لقد تعرف عليك.

- لكنك أنت من انقذته . إنه يغني من أجلك.

- إنه يغني من أجلنا نحن الاثنين إذن.

اغلق عينيه مستمتعاً بالغناء وبوجودهما معاً .

سالها "چاك" عندما ابتعد الصوت.

- هل كنت تسجلين ؟

نظرت إليه .

- يا إلهي ! لا لم أشغل جهاز التسجيل.

- لن يسمع أحد غيرنا إذن هذه الأغنية . أليس كذلك؟

- لكني سأسمعها في داخلي في كل مرة نكون فيها معاً .

- يا جنيتي" .. لنسمعها مرة أخرى. لن أمل من سماعها أبدا.

تمت